مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٤)، ص ص ١٤٥٥-١٥٢٦، (شوال ١٤٤٣ هـ/ مايو ٢٠٢٢)

أثر التوثيق الصوتي في حفظ اللغة الدارجة
- الشعر الشعبي أنموذجا -

د. منصور بن سعيد أبو راس
أستاذ اللغويات المشارك/قسم اللغة العربية/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/جامعة الباحة

ملخّص البحث:

يعنى هذا البحث بدراسة أهمية التوثيق الصوتي في حفظ اللغة؛ لبيان تطورها بمختلف مستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويخص من اللغة الدارجة الشعر الشعبي؛ وينطلق من المنظور اللغوي المعجمي؛ ليكون تحت عنوان: أهمية التوثيق الصوتي في حفظ اللغة الدارجة – الشعر الشعبي أنموذجا؛ ويتناول الجهود السابقة لجمع الشعر الشعبي وما عليها من ملحوظات، ويعمل على إيجاد طريقة مبتكرة تضمن المحافظة على البقية الباقية من الشعر الشعبي الذي جانَبَهُ الاهتمام والدراساتُ والبحثُ؛ لكونه لا ينطق بالفصحى ولا يناسب الرسم الإملائي الذي يختص باللغة العربية الفصحى، ولأسباب توّهم أصحابها أنها دينية، وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج؛ أهمها: تدوين الشعر الشعبي وتوثيقه يخدم القرآن الكريم والدين الإسلامي، وليس العكس، والتسجيل الصوتي للشعر الشعبي أهم من كتابته؛ لما يحمله من بيان لخصائصه اللغوية والصوتية، والشعر الشعبي الذي يمثل ثروة لغوية هو الذي قيل قبل عام ١٤١٠هـ، ومن ناحية لغوية ومعجمية فإن تدوين الشعر الشعبي أهم من تدوين الشعر الفصيح الحديث، وإن جمع الشعر الشعبي في مراحله

السابقة لا يمثل إلا جزءا ضئيلا من النتاج الشعري، وإذا لم يكن لدينا اهتمام بشعرنا الشعبي فلن يستطيع غيرنا تمثيل دورنا في ذلك، وفكرة الجمع الصوتي للشعر الشعبي عبر عمل موسوعي هي الحل الوحيد لإدراك الثروة اللغوية، ثم انتهى البحث إلى عدد من التوصيات؛ أبرزها: العمل على جمع المخطوطات السابقة وتحقيقها، وضرورة العمل الجاد على جمع المتوافر من الجهود السابقة بشكل صوتي يبين النطق الصحيح، وضرورة العمل على مشروع مؤسسي موسوعي لجمع الشعر الشعبي صوتيا، ومراجعة تسميات الشعر الشعبي فهي مازالت بحاجة إلى كثير من البحث والدراسة، واستثمار وجود الشعراء المطبوعين والرواة المتقنين للحصول على مالديهم من ثروة لغوية شعرية.

الكلمات المفتاحية : المعجم اللغوي، اللغة العامية، الشعر النَبَطِيّ، تدوين الشعر.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه وبعد:

فإن اللغة وعاء العلم والمعرفة؛ ولا يمكن لعالم في أي فرع من فروع المعرفة أن يوثق مالديه وينقله إلى الناس دون اللغة، فاللغة جانب من جوانب الحياة البشرية تؤثر وتتأثر، تغير وتتغير، ولكن اللغة العربية لها خاصة بين اللغات البشرية جمعاء إذ إنها ارتبطت بالقرآن الكريم الذي حفظ جزءا كبيرا من اللغة بفضل الله ومنته، وقد وُثّقت المفردات العربية الفصيحة التي كرمها الله سبحانه وتعالى لتكون في كتابه، ولكنها ليست اللغة العربية جميعها، ولا غرابة في ذلك فالقرآن الكريم رسالة سماوية فتحت لنا الآفاق ولم تغلقها، ولكننا نحن من يغلقها أمام أوجه القراءات والتفسير والاستزادة من العلم واللغة والمفردات العربية خدمة للقرآن الكريم وللّغة العربية التي كرمها الله سبحانه وتعالى وحفظها أن أنزل كتابه بها.

ويتضح لنا ذلك الإغلاق في ملامح مختلفة أتناول -هنا - واحدا منها وهو هجر أبرز مظاهر اللغة الدارجة الذي يعبر بأرقى أساليبها وأجزل عباراتها، ألا وهو الشعر الشعبي، إذ تنتشر بين المهتمين باللغة العربية وعلومها نظرة التجاهل بل والاتهام للشعر الشعبي بمحاربة اللغة الفصحى والنيل منها؛ دون تمحيص ولا تريث في مدى إمكانية الاستفادة منه لخدمة الجوانب العلمية المختلفة وعلى رأسها الجانب اللغوي.

وعندما كانت الوفود تفد على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتساءل الأعرابي عن موضوع أشغل ذهنه في سفره واستحوذ على فكره فيخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بلغته: يارسول الله هل من أم بر أم صيام في أم سفر فقال ليس من أم بر أم صيام في أم سفر. فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن يرد دون تعال ولا غطرسة: ليس من أم بر أم صيام في أم سفر، أي ليس من البر

الصيام في السفر، ثم يأتي العلماء الذين اعتمدوا فكرة عصور الاحتجاج والمستوى اللغوي الفصيح ليسموا هذه اللغة وغيرها من لغات القبائل باللغات المذمومة، ولو استطاعوا أن يخرجوها من العربية جملة لفعلوا !!!

وهي في الحقيقة ليست إلا مستوى من مستويات اللغة العربية ولا يمكنها أن تنفك عنها، ونجد بعض اللغات المنكرة عند أهل اللغة ينزل بها القرآن الكريم يقول سيبويه: "وليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا" [(١)]، ثم نجدها في القراءات السبعية مثبتة، وعلى رأسها قراءة حفص عن عاصم في قوله تعالى على سبيل المثال: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " البقرة: ٦، فتقرأ بتحقيق الهمزتين، ويحتج لها في كتب التفسير وتوجيه القراءات بلغات القبائل التي ورد عنها التحقيق؛ فقد ورد التحقيق عن تميم، والتسهيل عن الحجاز ولكل أدلته وشواهده، وليس المقام لاستعراضها وسردها [(٢)].

فلا يمكن أن نعول على كلام عالم من علماء اللغة في رد اللغة إن كانت موجودة في الواقع إلا بتتبع مصدرها وإثبات عدم عربيتها، وحتى الكلمة التي لا تثبت لنا عربيتها فلا مانع من توثيقها؛ فلعلها تثبت لمن هم بعدنا بأن يقع بأيديهم نص قديم أو مخطوط لم ينله حظ التحقيق، وأما ما اعتمد في الإنكار ورد اللغة الدارجة وشعرها على التخوف على الدين والقرآن الكريم، واللغة العربية، فلابد أن نعلم أنّ الإفراط في تفادي اللغة الدارجة وشعرها فيه عين الضرر، وأن الحذِرَ يؤتى من مأمنه وقد يغص الماءُ شاربه، وأسأل الله العون والسداد.

والنتاج الأدبي في اللغة الدارجة ينقسم إلى قسمين رئيسين:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣ / ٥٤.

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ١١٠

الشعر: وهو الفن الأدبي الذي تنطبق عليه ضوابط الشعر من وزن وقافية، ولكنه باللغة الدارجة

النثر وهو الكلام الأدبي الذي تنوع بين القصص والأساطير والحكم والأمثال، وهو كثير في اللغة الدارجة، وبالغ الأهمية في الدراسات اللغوية، ولا شك أن توثيق تلك الفنون اللغوية البديعة هو ثروة للمعجم اللغوي، ومرجع للدراسات اللغوية في مختلف جوانبه؛ إلا أنني في هذا البحث اخترت الشعر؛ لضيق البحث عن أن يتسع لكل الأنواع الأدبية في اللغة الدارجة، ولأن في الشعر من السمات مالا يوجد في غيره؛ لاسيما أن هذه الدراسة دراسة لغوية صرفة، ومن هذه السمات:

١ – أن الشعر خير شاهد على لغة عصره، فهو نموذج بيّن للفصاحة والإبداع اللغوي.

٢ – أن الشعر ملتزم بوزن وقافية، وذلك يمنحه حظًا أكبر من المصداقية والثقة.

٣ – أن الدراسة تهتم بتوثيق اللغة الدارجة فيما قبل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي أثرت على خصوصية اللغات الدارجة، وفرصة بقاء الشعر دون تحريف أو تغيير أكثر من فرصة الأنواع الأدبية الأخرى.

٤ – قصور مساحة البحث عن النثر والشعر معًا.

وأزعم أنني سأجد في الشعر بغيتي اللغوية، لتسليط الضوء على أهمية توثيق اللغة الدارجة عموما من خلال أهمية توثيق الشعر الشعبي؛ لأن حفظ الشعر موهبة عظيمة تستحق التقدير؛ فمن الناس من يحفظ القصيدة عند سماعها ومنهم من أوتي قدرة أوسع في ذلك فيحفظ المطولات من المئة والمئتين بيت دون أن يُسْقِط منها شيئًا، وهم رواة الشعر الذين زخرت بهم الساحات الأدبية والشعبية في مختلف

العصور، ولكنهم في هذه الأيام قلوا وندروا، فتسمع القصيدة اليوم من أحد الرواة ثم تطلبها بعد حين فتجده نسي أكثرها، بل إنك تسأل الشاعر عن قصيدته القديمة فتجده ناسيا لها، وهنا يجدر بنا أن نتساءل: هل تحمل لغة هذا الشعر – الشعر الشعبي - أهمية تستحق الاعتناء؟

ومن حيث اللغة فإن حفظ الشعر هو حفظ للغة، فالهدف من هذا البحث بيان أهمية التوثيق الصوتي للغة الدارجة وللشعر الشعبي في حفظ اللغة وبيان التطورات التي مرت بها على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وقد قيل في الشعر عموما: الشعر ديوان العرب، إذ إنه النص الثابت عنهم الذي يعاد إليه عند الاختلاف وعند البحث عن الإجابة عن أي معضلة تتعلق به؛ فهو يحمل اللغة والتاريخ وملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويروي كثيرًا من التفاصيل التي لا نجدها إلا فيه، فتجد الاستشهاد به من قبل علماء اللغة على المسائل اللغوية بأنواعها المختلفة في النحو أو الصرف أو الدلالة أو غيرها، ويستشهد بأبيات الشعر من قبل المؤرخين لما تحمله هذه الأبيات من وقائع وحوادث تاريخية، وإن أغلب الحوادث التاريخية في العصر القديم إنما وثقت بألسنة شعرائها، ونحن على ذلك إلى اليوم نستشهد بالقصائد الثابتة لدينا على الأحداث لما ورد على ألسنة الشعراء من أسماء المواقع والملوك والحروب وغيرها من الشواهد، ويستدل بالشعر على المواقع الجغرافية وما يتعلق بها من السهول والأودية والجبال، ويستدل بالشعر لإثبات الظواهر الاجتماعية وما يصيبها من تطور أو تدرج أو انتقال يعكس تطور حياة الناس، وفي الجملة فإن تدوين الشعر له فوائد عديدة لا تتوقف عند توثيقه للغة فحسب.

ويستوي في دلالة الشعر على الأحداث والجوانب العلمية الأخرى الشعر الفصيح والشعر الشعبي، وعليه يورد ابن خلدون الشعر البدوي والحَوْرَاني والقيسي، ويسميه شعرًا على ما فيه من اللحن لأنه يعبر عن أغراض قوم اختاروه، وقد وصفوا به حياتهم وشؤونهم.(١)

ولكن الملحظ الذي يسترعي الانتباه أن هناك إحجامًا عن تدوين الشعر الشعبي، ومع هذا الإحجام فإننا نفقد كثيرًا من ملامح حياتنا الماضية وثقافتنا وتاريخنا ولغتنا مما يؤثر سلبًا على واقعنا ومستقبلنا، بل إننا نفقد شواهد لغوية مهمة يستفيد منها الباحثون لمعرفة الظواهر اللغوية والكلمات المعجمية أو الدخيلة التي انتشرت في فترة أو أخرى، وهذا يقودنا إلى الحديث عن:

أسباب اختيار الموضوع:

إن بواعث البحث في هذا الموضوع تتمثل في النقاط التالية:

- أهمية اللغة الدارجة في بيان اللغة وتطوراتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
- لا نجد اهتمامًا كافيًا بتدوين اللغات الدارجة، والشعر الشعبي.
- تعزيز الهوية الوطنية التي نصت عليها رؤية المملكة ٢٠٣٠ من خلال جمع الشعر الشعبي في المملكة العربية السعودية وبيان حجم المفردات العربية المؤصلة لغويًا في هذا الشعر وكمية الارتباط بين الدارجة والفصحى ليتضح حجم العمق العربي لدى الشعب الخليجي والشعب السعودي بشكل خاص.

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ١/ ٨٠٦

- النظر إلى تدوين اللغات الدارجة، والشعر الشعبي على أنه تهديد للغة العربية الفصحى والقرآن الكريم والدين الإسلامي.
- النظر إلى المهتمين باللغات الدارجة، والشعر الشعبي ودراسته على أنه ضرب من الدعوة إلى العامية.
- وجود فجوات كبيرة وواسعة جدا في الثقافة العربية لا يسبرها إلا إدراك ما يمكن إدراكه من تدوين اللغة الدارجة من خلال الشعر الشعبي.

مشكلة الدراسة:

يختلف النقاد ولا أهل اللغة على أن الشعراء ينتقون أفضل الكلمات وأجزل التعبيرات لينشدوا بها أشعارهم: وفقوا في ذلك أم لم يوفقوا، ولا يختلف اثنان على أن الشعراء هم صفوة المجتمع عند الحديث عن البلاغة والفصاحة، فينشدون قصائدهم بلغة المجتمع الدارجة بأنقى لغة، وأجمل أسلوب، ومع ما يتسم به الشعر العربي الفصيح من علو كعب في اللغة والبلاغة إلا أننا لا نجد مفردات اللغة الدارجة التي تستخدم في الخطاب اليوم في ثنايا هذه المعاجم ، ومع إعراض أهل اللغة عن جمع الأشعار الشعبية فإنني ألمس المشكلة هنا بفقد جزء كبير من تراث المجتمع بفقد هذا الشعر.

وإذا انقرضت تلك الأشعار ثم عدنا إلى الحافظة فلا نكاد نجد شيئا؛ ما لم يكن هناك ديوان مسطر وخط مدون؛ ليضمن أن القصيدة الواردة هي فعلا من تلك الحقبة دون غيرها، وهي فعلا لهذا الشاعر الذي ينتمي إلى القبيلة المعينة، وأنه عاش على المساحة الجغرافية المذكورة.

أهمية الدراسة.

تستمد الدراسة أهميتها من أهمية اللغة الدارجة والحرص على جمعها خدمة للمعجم اللغوي وللدراسات اللغوية بمختلف مستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، كما ترتبط أهميتها بأهمية الشعر الشعبي وقيمته في حفظ اللغة الدارجة، وتتجلى مكانة الشعر الشعبي في العلوم المتنوعة التي يرتبط بها.

فروض الدِّراسة:

تنطلق الدراسة التي بين أيدينا من الفروض التالية وتعالجها وفق معايير وأخلاقيات البحث العلمي:

١ - لا يمثل الشعر الشعبي اللغة التي يتخاطب بها المجتمع.

٢ - اللغة الدارجة، والشعر الشعبي ليسا من الأهمية بمكان حتى تفرد لهما المعاجم والموسوعات الشعرية.

٣ - يحمل الشعر الشعبي خطرًا هدامًا على اللغة العربية الفصحى والقرآن الكريم والدين الإسلامي.

٤ - تفقد اللغة رصيدًا وافرًا بفقد الشعر الشعبي وعدم تدوينه.

٥ - لم تستغل التقنية الحديثة كما ينبغي في مشاريع جمع الشعر الشعبي.

منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع البيانات موضوع الدراسة ثم تحليليها إذ التحليل أحد أساليب المنهج الوصفي للوصول بإذن الله إلى النتائج والتوصيات الصحيحة، وسيكون هذا البحث في مقدمة، وتشتمل على: أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة الدراسة، أهمية الدراسة، وفروض الدِّراسة، ومنهج الدراسة. ثم ثلاثة مباحث وعشرة مطالب تنتظم كما يلي:

المبحث الأول: الشعر الشعبي.

المطلب الأول: تعريف الشعر الشعبي ومسمياته.

المطلب الثاني: خطر الشعر الشعبي على اللغة العربية.

المطلب الثالث: كيف نوظف المادة اللغوية للشعر الشعبي في البحث العلمي؟.

المبحث الثاني: محاولات جمع الشعر الشعبي السابقة.

المطلب الأول: المخطوط.

المطلب الثاني: الطباعة.

المطلب الثالث: المحاولات الموسوعية: مكانا وزمانا وموضوعا.

المطلب الرابع: البرامج الإذاعية والتلفزيونية.

المبحث الثالث: جمع الشعر الشعبي في عام ١٤٤٣هـ.

المطلب الأول: شرح الطريقة المقترحة.

المطلب الثاني: الإيجابيات.

المطلب الثالث: المعوقات.

ثم أختم بالتوصيات والنتائج من البحث، وبالله التوفيق..

المبحث الأول

الشـــعر الشـــعبي

يتحدث بعض الكتاب عن الشعر الشعبي على أنه ذلك الشعر الذي يعبر عن حاجات الناس وينظم كلماته وأبياته في البوح بهمومهم وأحزانهم والبحث عن الحلول لمشاكلهم وتلبية مطالبهم، ويستوي فيه عندهم كل شعر تحدث في هذا الموضوع بأي لغة وبأي مستوى من مستوياتها [(١)]، وكما أطلق على أحمد شوقي بعد أن عاد من المنفى وحصر موهبته وقريحته على هموم الشعب وحاجاته؛ حتى لقب بشاعر الشعب، كما لقب بهذا اللقب شاعر الفصحى الذي تغنى بها ونافح عنها: حافظ إبراهيم، وعلى هذا فلابد أن نفرق بين التيار الشعبي أو الموضوعات الشعبية في الشعر وبين موضوع هذه الدراسة وهو: الشعر الذي يستخدم اللغة الدارجة أو اللغة العامية ولا يلتزم بالفصحى، وهو منتشر فلا يخلو منه قطر من الأقطار العربية، ولا تخلو منه بادية ولا مدينة.

المطلب الأول: تعريف الشعر الشعبي ومسمياته.

إن مما شاع في الناس مصطلح الشعر الشعبي، والشعر النَبَطِيّ، والشعر المحكي والشعر العامّي والشعر الملحون، والشعر البدوي وغيرها من المصطلحات الدالة على ماهية الشعر: الذي لا يلتزم بقواعد النحو والصرف والعروض الخليلية، فيستخدم اللغة العامية في بنائه، ولكل تسمية منها وجهها بحسب ما ارتبطت به، وعندما تسأل من يسميه بأي من هذه الأسماء فإنه يحتج للاسم الذي يستخدمه ويخطئ الفريق أو الفرق التي تستخدم الأسماء الأخرى؛ وقد يذكر أن تعريفه جامع مانع ولكن لكل

---

(١) علي شواخ إسحاق، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام (رسالة دكتوراه) ٢٣٩.

صاحب تعريف حجة مقنعة حملتني على أن أخصص هذا المطلب لأقف على التسمية الصحيحة أو التسميات الصحيحة بإذن الله: إن تعدد التسميات ليس جديدا في شأن الشعر الذي يخالف الإعراب فهذا ابن خلدون في مقدمته يورد أربعة أسماء له: واحد في المغرب وثلاثة في المشرق، فالمغرب يسمّون هذه القصائد الأصمعيّات نسبة إلى الأصمعيّ الراوية العربي، وأهل المشرق من العرب يسمّون هذا النّوع من الشّعر ثلاثة أسماء:

البدويّ نسبة إلى البدو.

والحَوْرَانيُّ نسبة إلى حَوْرَان، وهي بلدة سهلية واسعة من أعمال دمشق[١]، وهي من ديار العرب التي تغنى بها الشعراء كثيرا: يقول امرؤ القيس:

فَلَمّا بَدَتْ حَوْرَان في الآلِ دونها نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُر بعَينِك منظَرَا [٢]

وقال جرير:

هبت شمالًا فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التي شرقي حَوْرَانا[٣]

ويسميه أهل المشرق القيسيّ[٤]؛ نسبة إلى قبائل قيس؛ وهي القبيلة التي كثر شعرها وشعراؤها[٥] في الجاهلية والإسلام؛ لكثرة الصراعات والحروب التي خاضتها، ومن المعلوم أن الحروب هي وقود الشعر ومصانع الشعراء[٦]، وسيأتي معنا

(١) الحموي، معجم البلدان ٢/ ٣١٧.

(٢) المصطاوي، ديوان امرئ القيس ص ٩٥.

(٣) محمد طه، ديوان جرير ١/ ١٦٥.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١/ ٨٠٦

(٥) شوقي ضيف، ، تاريخ الأدب العربي، ، دار المعارف، ط١، مصر، ١٩٩٥م، ١/ ٣٣٥

(٦) بن سلّام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، ١/ ٢٥٩

أن القبائل المتاخمة لحدود العرب أسرع تأثرا وتغيرا في لغتهم وفي شعرهم، ويمكن أن تكون التسمية لهم من هذا الجانب[١].

ومن الأسماء التي اشتهرت عن هذا الشعر: الشعر النَبَطِيّ، وقيل في النَّبَط: هو الماء الذي يستخرج من قعر البئر، ونَبَطَ ماؤها أي خرج ماؤها، وقيل: هو ما يخرج من الجبل كأنه عَرَقٌ يخرج من الصخر، وهو: بياض يكون تحت إبط الفرس وقد يمتد حتى يغطي البطن والصدر، وشاة نبطاء موشحة بالبياض، ويطلق ذلك على كل دابة خالف لون بطنها وصدرها أو أحدهما لون ما تبقى منها، قال ذو الرُّمّة:

كمِثلِ الجّوادِ الأَنْبَطِ البَطْنِ قائماً تمايَلَ عنه الجُلُّ واللَّوْنُ أَشْقَرُ[٢]

والنَّبَط: قوم في سواد العراق، والجمع: الأَنْبَاط.، وسُمّوا بذلك؛ لأنّهم أوّلُ من استنبط الأرض[٣]، فالْمُسْتنبَط قد يكون ماءً أو مولودًا ونتاجًا للفرس ونحوه أو خيرًا من الأرض أو علمًا، وكل ما استُخرج فقد استُنبط، ومنه قوله تعالى: "لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ" النساء: ٨٣ ، ويوصف الْمُسْتنبَط بأنه قريب أو بعيد بحسب مكانه من الْمُسْتنبِط؛ قال كعب الغنوي:

قَريبٌ ثَراه مَا يَنالُ عَدُوُّه لَهُ نَبَطاً، عِند الهَوانِ قَطُوبُ

ويوصف الرجل غزير العلم بأنه لا يدرك له نَبَط؛ أي لا يعلم غاية علمه ومنتهاه [٤]

---

(١) ص (١٢)

(٢) أبو صالح عبدالقدوس، ديوان ذي الرمة ٢/ ٦٢٦.

(٣) الفراهيدي، العين ن ب ط ٧/ ٤٣٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ن ب ط ٧/ ٤١٠.

ويعم الوصف بالنَّبَط ؛ فإذا نظر للماء الذي يستنبط بأن الاستنباط هو إزالة ما يغيبه عن الناس من الطين فيكشف عنه ويستخرج الماء صافيا، ليصبح معنى لكل ما أظهر خفاؤه بفعل من غيره فيقال: أنبط سره وأنبط ما يخفي.[١]

وقد جاء النَّبَط في المعاجم علمًا على قوم وعلى موضع وعلى واد: فالقوم الذين سبق القول عنهم مستوطنون أطراف العراق، وأما الموضع فهو قريب من المدينة، وأما الوادي فهو شعب من شعاب هذيل بالقرب من المدينة[٢]، وقيل اسم قرية بالبحرين تدعى النَّبَطاء[٣].

وبذلك فإن الجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي اتخذ طريقين عند المهتمين من أهل اللغة والأدب من المختصين ومن غيرهم، فمنهم من اهتم بربطه بعلم من الأعلام ليبرر وجود ياء النسب التي في آخره ويبين أنه نسب إلى قوم بعينهم، فقد ذكروا إنه إنما سمي بذلك نسبة إلى الأنباط: الذين يقطنون بلاد العراق[٤]، ويبرر لتسمية شعر عربي بهذه التسمية بأن الأنباط ليسوا عربًا ؛ فساغ لهم أن يسقطوا الإعراب من شعرهم، وسوغ لهم ذلك أشياء عدة: فهذا الاسم: النَبَطِيّ، لم يرد إلا في العصر الحديث، فعلى الرغم من أن ابن خلدون استقرأ الأسماء الواردة عن هذا النوع من الشعر الذي لا يحفل بالإعراب إلا أنه لم يورد هذا الاسم، كما أن حديث

---

(١) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم ن ب ط ٩/ ١٩٤.

(٢) الزبيدي، تاج العروس ن ب ط ٢٠/ ١٢٩.

الصغاني، التكملة والذيل والصلة ٤/ ١٨٢.

(٣) الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ٥/ ٢٥٨

(٤) بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار٢ / ١٨٩

الفرج، ديوان النَّبَط، ١/ ط - ي

ابن خلدون عن أسمائه وتعداده لها: الحَوْرَانيّ والقَيسِيّ والبَدَويّ تقرب هذا التأويل إذا أريد نسبته بذلك إلى بعض سكان حَوْرَان، وقد تكون طريقا للنسبة كما نسب الخط الكُوفي إلى الخط النَبَطِيّ؛ لأنه تأثر به فأصبح شبيها به، والخط النَبَطِيّ هو خط الأنْباطِ بلا خلاف[١]، ولهم دليل عقلي أيضا؛ فمن تكلم بالعربية في حَوْرَان لم يلتزم بقواعد الإعراب في كلامه وفي شعره كمن يسكن الجزيرة العربية، بل ويتفاخرون بإجادة هذا النوع من الشعر وتجريده من الإعراب كما سيرد معنا في كلام[٢] ابن قُزْمَان [٣]، وابن قُزمان هو محمد بن عيسى قُزمان القرطبي، اشتهر بالزجل حتى لقب بإمام الزجالين وبالزجال[٤]، وهذا اللقب يمنع من الخلط بينه وبين عمه محمد بن عبدالملك بن قُزْمَان؛ الوزير الكاتب.

وهم بذلك يقتربون أكثر من ذائقة المتلقي الذي لا يتحدث باللغة العربية الفصحى فتجد قصائدهم رواجا، ويجدون صيتا وذيوعا.

ومنهم من ينسبه إلى المعنى اللغوي فيقول إنه سمي بذلك لأنه يستنبط المعاني والأفكار، ويحتاج إلى إعمال ذهن في فهم معناه وبلوغ مغزاه، أو أنه مستنبط من الشعر الجاهلي وأنه فرع منه [٥]، وقد تتبع الدكتور سعد الصويان تاريخ هذا المصطلح فرجح أن يكون مصطلحًا ابتدع من داخل الجزيرة العربية، وخطأ من نسبه إلى الأنباط

---

(١) أبو العزم، معجم الغني عبد الغني ن ب ط.

(٢) ص (١٨)

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ١/ ٨٢٦.

(٤) ابن الأبار، تحفة القادم، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م، ٥٦، ولقبه الزجال يمنع من الخلط بينه وبين ابن عمه محمد بن عبدالملك الوزير الكاتب.

(٥) الكمالي، الشعر عند البدو ص ٦٧.

مثل ابن بليهد وخالد الفرج وغيرهم ؛ لأن ذلك يخالف التاريخ من جهة ويوقع في خطأ أعظم منه من جهة أخرى ، فمن ادعى أنه ينسب إلى الأنباط فإنه يدعو إلى فصل هذا النوع من الشعر عن الشعر العربي الجاهلي وما بعده من الشعر العربي الفصيح ، وهي جناية عظيمة على التاريخ والثقافة العربية.[١]

ويرى ابن خميس أن هذه التسمية : الشعر النَبَطِيّ إنما أطلقت على هذا النوع من الشعر من باب الاستهزاء والاستنقاص فهو دون النظر والبحث والدراسة والجمع بالنسبة لحذاق اللغة وعلمائها[٢] ، وهو كذلك لدى شفيق الكمالي في كتابه الشعر عند البدو.[٣]

وقد أنكر الصويان هذا القول وأوضح أنه من بنيات أفكار بن خميس فليس له أصل تاريخي ، وأنه مجرد تحليل شخصي من بن خميس .

وحقيقة فإن هذا الخلاف حمل لنا ثروة تاريخية ولغوية ، ولو لم يكن منها إلا أنها لم تتجه اتجاها واحدا فحافظت على مكان الشعر النَبَطِيّ بعيدا عن هؤلاء وهؤلاء ، وأعني بذلك أننا لو اتجهنا خلف الرأي القائل بنَبَطِيّة أصل هذا الشعر فإننا نفصله عن تاريخه العربي ، ونعده ضربا من تقليد الأعاجم للغة العربية وبذلك فلن يكون أهلا للدراسة ولا للبحث وسيبقى التساؤل الأبرز : كيف لهذا الشعر الأعجمي أن ينتشر بهذه الطريقة ويلقى كل هذا القبول في الجزيرة العربية وفي قبائل الجزيرة العربية تحديدا وهي منبع اللغة العربية؟!! ولو اتجهنا نحو كلام ابن خميس في قوله : إن

---

[١] الصويان ، الشعر النَّبَطي ٧٢ - ٧٢.

[٢] بن خميس ، الأدب الشعبي ص ٧٣.

[٣] الكمالي ، الشعر عند البدو ص ٦٧.

هذه التسمية كانت ضربا من الاستهزاء والسخرية من هذا الشِّعر الذي يشبه لغة الأعاجم، فلن تقوم له قائمة، ولن ينتشر بهذه الطريقة أيضا.

وكما أنه لا يمكننا الجزم بأحد الرأيين فيمكننا الرجوع إلى فكرة التشابه بين الخط الكوفي والنَبَطِيّ، فقد يكون التشابه بين الشعر العربي الذي لا يتقيد بلغة الإعراب وبين اللغة الأعجمية من وجهة نظر عالم أو أكثر من علماء اللغة حملتهم على هذه التسمية، فإن قيل إنها تسمية لا تخلو من الاستهزاء والتقليل من شأن هذا الشعر؛ فنقول: علينا التأمل في بقية الأسماء لهذا الشعر؛ فلن نجد منها اسما يخلو من التقليل من شأنه؛ كالشعر العامي نسبة إلى عوام الناس، والشعبي نسبة إلى عامة الشعب، وهم بذلك يفصلون العامة عن الخاصة، وبين الشعب والقادة.

ولعل هذا هو المنطلق الرئيس لتسمية الشعر النَبَطِيّ؛ لأن الكتابة والتدوين آنذاك كانت بيد العلماء الذين يتمسكون باللغة الفصحى ويرون أن غيرها خطر عليها وعلى القرآن؛ فحملهم ذلك على هذه التسمية وغيرها، وكتب لتسمياتهم الرواج والانتشار، وإن قيل أين دليل ذلك؟ فنقول: انظر إلى الأسماء الأخرى للغة الدارجة: اللغة العامية واللغة الشعبية واللغة المحلية واللغة السوقية، وانظر إلى ما تحمله من دلالة الانتقاص والتضعيف أمام اللغة الفصحى ولغة القرآن ولغة أهل الجنة ولغة الثقافة والأدب واللغة الرسمية.

ولابد من الإشارة إلى أن الأنباط لم يكونوا منغلقين على أنفسهم في بلاد حَوْرَان أو في أطراف العراق، بل امتدوا إلى سيناء وامتدوا إلى ضفاف النيل والصحراء الغربية وشمال إفريقيا، وهم الذين حكموا بابل؛ ولهم تاريخ وحضارة [1]، وقد

(١) الأندلسي، المسالك والممالك ١/ ٢٦٧.

وصل انتشارهم إلى أوروبا حتى أصبح أحدهم امبراطورا على إيطاليا، وهو الملقب ب: فيليب العربي [١]، وهذا الاسم يدفعنا للحديث عن أنهم قد اختلطوا مع العرب حتى يسأل أحدهم ممن أنت فيقول: عرب استنبطنا ونبط استعربنا [٢]، وكان ينظر لهم بنوع من الازدراء وينقل صاحب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب: عن مؤرخي العرب أنهم إذا ذكروا الأنباط فإنهم غالبا يقصدون هذه البقايا المتناثرة من الصناع والأجراء الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية في الشام أو العراق أوغيرها، وقد أخذ مدلول كلمة" نَبَطِيّ" عندهم معنى لا يخلو من الذم[٣]، وكان مما يرمون به: ضعف عربيتهم وركاكتها؛ ويرى المقريزي ألا خلاف بين العلماء في عربيتهم[٤]؛ فسمي الشعر البدوي العربي باللغة الدارجة بالشعر النَبَطِيّ إمعانا في تصغيره وتحقيره أمام الشعر العربي وإلا فهو منه، وهو تطور طبيعي للشعر الجاهلي كما كانت اللغة الدارجة تطور طبعي للغة الفصحى، وهذا هو ظاهر كلام ابن خلدون ومن تبعه عندما تحدث عن بداية نزع الإعراب من الشعر الفصيح وعن تسمياته المختلفة في الشرق والغرب.[٥]

---

(١) فيليب العربي: الإمبراطور الروماني، اعتنق النصرانية ولم يجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية، توفي سنة ٢٤٩م، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، س. موستراس، ترجمة وتحقيق: عصام الشحادات، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ١/ ١٧٥

(٢) الأندلسي، المسالك والممالك ١/ ٢٢٦.

(٣) المقريزي، البيان والإعراب ص٥٠.

(٤) السابق

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ١/٨٢٦ وما بعدها.

وعندما ينسب الشعر الشعبي (النَبَطِيّ) إلى الشعر الجاهلي فإنه النسبة الطبيعية التي تحفظ للتاريخ وللموروث الشعبي حقه، وهي النسبة التي لا تحتاج إلى لي أعناق النصوص والحقائق، فهو تطور دخل على الشعر حينما ضعفت السلائق، واختلت الفصاحة؛ فأراد بعض العرب أن يتخففوا من الإعراب ويتحرروا منه؛ ليتسنى لهم التغني به كيف شاؤوا، ولا سيما أن كثيرا من متذوقي الشعر الذين ينحدرون من أصول غير عربية لا يطربها الشعر الذي يلتزم بالفصحى قدرما يطربها الإيقاع والغناء.

وخلاصة القول فإننا بين سببين للتسمية:

السبب الأول: الاستنباط من الشعر الجاهلي أو لاستنباط معانيه وعمقها.

السبب الثاني: أنه ينسب إلى الأنباط حقيقة، أو للتحقير من شأنه لضعف لغته وركاكتها [1].

ومع غياب اليقين في كل هذه الآراء فإنني أرى لما سبق من شواهد أن نسبته إلى الأنباط للتقليل من شأنه هي الأقرب لا سيما أن من تصدى للإعلام والكتابة والتأليف والنشر هم أنصار الفصحى والمنافحون عنها.

وأما تسمية الشعر الشعبي: فإن تسمية الأدب الشعبي عموما أو الشعر الشعبي تنطلق من عدة أمور وضوابط يحددها الاستقراء لجهود العلماء والمهتمين بهذ الموضوع، وقد وردت عنهم ثلاثة أقول:

الأول: إن الشعر الشعبي يسمى بهذا الاسم انطلاقا من اللغة التي يستخدمها أكثر الشعب في حديثهم اليومي ولا يفرق بين الشعر المكتوب منه و الشفهي، ولا بين

---

[1] الكمالي، الشعر عند البدو ص ٦٧.

معروف القائل أو المجهول، بل كل شعر كتب و قيل باللغة الدارجة (العامية) فإنه يدخل في دائرة الشعر الشعبي، وقد اتبع هذا الرأي عدد من العلماء كعبدالله بن خميس وابن بليهد وغيرهم[١].

والثاني: إن الشعر الشعبي هو الذي يتحدث بلسان الشعب ويعبر عما في ضمائرهم بأي مستوى من اللغة وسواء كان شفويا أم كتابيا، وعُلِمَ صاحبُه أم لم يُعْلمْ.

والثالث: وهو الذي يقول بضرورة توافر شرطين لهذه التسمية:

الأول: أن يكون الأدب أو الشعر شفويا، والثاني: أن يكون مجهول القائل، ويقول بهذا الرأي د. عبدالحميد يونس وتابَعَه د. شفيق الكمالي وغيرهم...[٢].

ولو تأملنا فيما سبق؛ فإننا نرى ابتداء أن هذه الآراء يقف خلف كل منها هامات وقامات علمية تَحمِلُ على المراجعة والتدبر في التسمية واختيار هذه دون تلك، فالرأي الأول الذي يصف الشعر الشعبي بأنه كل شعر نطق باللغة الدارجة فإنه مساو لاسم الشعر العامي، وأما من يرى أنه يدخل فيه كل شعر تناول في موضوعه احتياجات الشعب لإنه يتحدث عن الشعر من منطلق إنساني، فهو تصنيف موضوعي لاعلاقة له بما نحن بصدده من الحديث عن الشعر الذي يستعمل اللغة الدارجة تحديدا، وأما التوجيه الأخير فهو انعكاس لما في الثقافة الغربية من اسم: Folk poetry ويعنون بذلك القصيدة الشعبية التي انتشرت بطريقة شفوية، وفي الغالب لا يعلم قائلها.

---

(١) رشدي، الأدب الشعبي ص٩.

(٢) الكمالي، الشعر عند البدو ص ٧ و ٧٢.

ونلمس خلف اشتراط الرواية الشفوية فقط تعليلا لتسمية الشعر الشعبي ؛ إذ ينتشر في كتابات المهتمين بهذا الشأن أن هذا النوع من القصائد يحمل صبغة البعد عن الرسمية ، والتعبير عن الأحداث والمتغيرات اليومية للناس.

الشعر العامي : وقد دون هذا الاسم على عدد من المؤلفات التي جمعت القصائد الشعبية ، واختاره ابن عقيل الظاهري في اسم كتابه ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد ، واحتج له ، وبين القصور والاختلاف فيما عداه من التسميات ، ويتضح في هذه التسمية أن العلاقة بين الاسم والمسمى حيث إنه كتب باللغة العامية [١] ، ولكن التاريخ لا يخدم هذه التسمية ولا تبريراتها في ذلك ، ولعل هذا الاسم يُحَمِّل الشعر الشعبي تبعة هو في غنى عنها إذ إن كلمة العامي تطلق بنوع من الفوقية ، ويراد بها من كان بعيدا عن العلم والثقافة والتعليم ، وهو خلاف الواقع ؛ فكثير من العلماء والمثقفين والساسة وقيادات المجتمع يهتمون بهذا النوع من الشعر ويروونه ويحفظونه ؛ بل وينظمونه.

الشعر البدوي : ودون هذا الاسم عند شفيق الكمالي في كتابه : الشعر عند البدو ، وقد استقاه من التسمية التي نقلها ابن خلدون عن إحدى تسميات هذا النوع من الشعر عند أهل المشرق ، كما اختاره الدكتور أحمد الضبيب وغيره [٢] ، وحيث إن موضوع التسمية ليس هدفا رئيسا لهذه الدراسة فلن أطيل في الحديث عنه ، وأرى أنني أمام أربعة خيارات الآن :

- الشعر النَبَطِيّ : ويُقبلُ على علاته وغموضه وانتقاصه من قيمة الموروث الشعبي والشعر الذي يكتب بغير الفصحى في اللغة العربية.

---

(١) الظاهري ، مقدمة ديوان الشعر العامي ١ / ٢١.

(٢) الصويان ، الشعر الشعبي ص ٧٨

- الشعر الشعبي: على أن نحدد التفسير الأول إذ هو المناسب لموضوع البحث والذي يبنى عليه أن الشعر الشعبي يسمى بهذا الاسم انطلاقا من اللغة التي يستخدمها وهي اللغة الدارجة (العامية).
- الشعر العامي: وهو الأقرب لقلة المداخل عليه؛ غير أن التاريخ لا يخدمه؛ فلم يسم به هذا النوع من الشعر إلا في وقت متأخر.
- الشعر البدوي: وهو الأنسب من جهة التاريخ حيث إنه الوحيد الذي ورد في تسميات ابن خلدون ، ومن جهة قلة الاختلاف حوله.

وقد كثر في هذه التسمية الكلام وكثرت فيها الخلافات، فابن خميس على تأويله الخاص، وابن بليهد يرى غير ذلك، وشفيق الكمالي يرى أنه سابق لهما في كل ما قالاه، ويؤيده الصويان في كل ماذهب إليه، و دار بين الدكتور الضبيب وابن عقيل الظاهري[1] في هذه المسألة خلاف واختلاف، ولن أخصص هذا البحث لاستعراض هذه الأقوال والتحكيم بينها، لأنني سأخرج بذلك عن مجال البحث ، ولكني أرى - بعد هذا الاستعراض لأسماء الشعر الشعبي - أن الفائدة تكمن في اختيار الاسم الذي أعتمده في هذه الدراسة ليوصل المعنى بأفضل الطرق وأصحها: وأرى أن الاسم الأقرب هو: الشعر الشعبي لما سبق من أن من العلماء من يطلق الشعر الشعبي على كل عمل أدبي استعمل اللغة التي يتداولها أكثر الشعب في حديثهم اليومي ولا يفرق بين الشعر المكتوب منه أو الشفهي، ولا بين معروف القائل أو المجهول، كما أن هذا المصطلح قد شاع في الأوساط العلمية والمجتمعية، ولا أرى عليه من الملابسات والمحترزات ما على الأسماء الأخرى.

---

(١) الصويان، الشعر الشعبي ص ٧٨ وما بعدها

المطلب الثاني: خطر الشعر الشعبي على اللغة العربية.

ينقسم علماء اللغة و الأدب في تحديد دور الشعر الشعبي في خدمة اللغة العربية أو الإضرار بها، فنجد منهم من يرى بأن الشعر الشعبي هو خطر حقيقي على لغة الإعراب؛ اللغة الفصحى؛ لغة القرآن الكريم، بل وهو خطير على الوحدة العربية بين الشعوب، وذلك من زوايا عدة:

- لغة القرآن الكريم هي اللغة الفصحى، وكل شعر بلغة عربية عدا الفصحى لا يستحق الاهتمام لأنه لا يخدم لغة القرآن الكريم.
- الشعر الشعبي يعمق الهوة بين متحدثي العربية وبين اللغة العربية الفصحى.
- لا يلتزم الشعر الشعبي بالإعراب، ويتنقل بين علاماته وفق رغبة الشاعر وظروف الوزن، وهو بذلك يشكل انفصاما بين الناس وبين لغتهم العربية الفصحى.
- لايلتزم الشعر الشعبي بالأوزان الخليلية التي التزم بها الشعر الفصيح.
- يستخدم الشعر الشعبي اللهجة المحلية ضيقة الاستخدام فلا يفهمها إلا عدد محدود من العرب.

وأما من يرى أن الشعر الشعبي يستحق الدراسة والبحث والتدوين والاهتمام فينطلق من أن الشعر الشعبي ينطق باللغة الدارجة وهي مستوى من مستويات اللغة العربية الذي لم ينفك عنها من الأزل، وقد نظم به السابقون كما ينظم به المعاصرون[1].

(١) ابن خلدون، المقدمة ١/ ٨٢٦، الحموي، خلاصة الأثر ١/ ١٠

وليس النظم عند علماء اللغة وأهل البراعة فيها حكرا على السلف ؛ بل إن من أعيان الشعراء ورموزهم في العصر الحديث من نظم شعرا باللغة الدارجة كما هو عند أحمد شوقي أمير الشعراء حيث كتب أكثر من ١٥ قصيدة باللغة الدارجة، وأحمد رامي شاعر الشباب الذي برع في الكتابة بالفصحى والدارجة ، وغيرهم من أفذاذ الشعر والأدب المعاصرين، ولست في مقام الانتصار لنوع من الشعر على آخر، ولكنني أَلفِتُ النظر إلى أهمية هذا النوع من الشعر وبيان أن الخطر الحقيقي في مصادرته وضرب الذكر صفحا عن دراسته وتدوينه، وليس الخطر في تدوينه وتوثيقه ودراسته.

وسأناقش هذه الفكرة من جهتين: من جهة جدواها وقدرتها على قمع الشعر الشعبي أو حصره أو إزالته، ومن جهة صحة الموقف، أما عن جدواها: فلنا أن نتقمص - قليلا - وجهة النظر الأحادية التي تزعم أن على المثقفين دورًا إلزاميًا في التصدي لهذا الشعر والحد من انتشاره حفاظا على لغة القرآن الكريم، فنقول بادئ ذي بدء: وهل أجْدَتْ تلك الشعارات نفعا، وهل يمكن أن نتصور أن تمنع هذه الشعاراتُ الناسَ من التعبير عن مشاعرهم والنظم بما يحسنون وبما يطوع في أيديهم وألسنتهم؟ فعل كثير ذلك وقالوا: إنه شعر مارق وغير عربي، ولم ولن يجدي ذلك شيئا ؛ لأن الشعر مكون من فكرة وعاطفة وخيال ونظم، وجميعها يتوافر في الشعر الشعبي، وأما نوع اللغة التي نظم بها، ونوع الإيقاع الذي استخدم فهو أمر لا يجعلنا ننكر شاعريته ولا أهميته ؛ فهو مكوِّن اجتماعي يوجد حيث وجد الناس، ولاشك أن لكل مجتمع طريقته في الإبداع والفن، ولذلك قال ابن قتيبة: "ولم يقصر الله العلم

والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كلّ دهر" [١]

وأما من جهة صحته: فلابد أن نعلم أننا أمام مستوى من مستويات اللغة ألا وهو اللغة الدارجة، ونعلم أنه أفضل ما روي باللغة الدارجة؛ لأن كل شاعر يطمح إلى تجويد شعره بكل ما يملك من موهبة [٢]؛ وفّقَ في ذلك أم لم يوفق، وكما قيل: شعر الرجل قطعة من علمه [٣]، ولا بد أن نوقن أن الشعر هو أفضل وعاء حفظت فيه المعاني واللغة[٤]، وبذلك فسيكون النتاج الشعري هو أفضل ما يجتمع لدينا من كل لغة باختلاف وتفاوت بين شاعر وآخر كما هي طبائع الأمور بين البشر.

وإذا أردنا أن نتلمس الطريق الصحيح للحكم على الشعر الشعبي فسنصل إلى أنه ظاهرة لغوية طبيعية، وقد انقسم العلماء حوله على فريقين فمنهم من رآه فرعا عن الشعر الجاهلي الفصيح، بل إنه كان أسبق وأقدم من الشعر الجاهلي إذ العربية الفصحى لم توجد إلا قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة كما هو عند الدكتور صادق بخيت [٥]، ومنهم من اتخذ موقفا آخر يتفاوتون فيه قربا وبعدا من ارتباط الشعر الشعبي باللغة الفصحى فرأى أن علاقة هذا النوع من الشعر باللغة العربية الفصحى علاقة ضعيفة إن لم تكن منعدمة، وأنه حديث النشأة، ويستدلون بعدد من التساؤلات:

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/ ٦٤.

(٢) ابن قدامة، نقد الشعر ٣ -٤.

(٣) العسكري، الصناعتين ص ٣.

(٤) ابن جني، الخصائص ١/ ٢١٨ -٢٢١.

(٥) الصويان، الشعر الشعبي ص ٨٥.

- أين هذا النوع من الشعر عن التوثيق والرواية ؛ التي لم تذر شاردة ولا واردة؟
- أين هو عن علماء القراءات الذين حرصوا على التوثيق والاحتجاج للغات واللهجات؟.
- لم يتورع علماؤنا في عصور التدوين عن توثيق بعض من لم يرتضوا لغتهم ولا أشعارهم كأبي دؤاد الإيادي، وعدي بن زيد العبادي وغيرهم ؛ فلماذا لم يرووا شيئا من الشعر الشعبي؟.

ثم يقررون أن الازدواجية اللغوية لا تنشأ -عادة - في مجتمع شفهي كما هي الحال في مجتمع الجزيرة العربية فيما سلف من العصور [١].

ولكن هذه التساؤلات تفقد أهميتها عندما نتساءل عن توثيق الشعر الذي ذكره ابن خلدون وأدرج له أربعة أسماء مختلفة، وصفته الرئيسة أنه لا يتقيد بالإعراب، أين اختفى منذ تلك القرون إلى هذا العصر؟ والأمر يتسع في بعض جوانبه ليشمل اللغة برمتها فتجد الصلة بين اللغات الدارجة الحالية وبين اللغة العربية الفصحى يكتنفها الغموض في كثير من جوانبها.[٢]

وقد يكون إيضاح الأمر أن الرواة لم يعنوا بتوثيق الشعر مالم يكن باللغة العربية الفصحى إذ هو الشعر الذي ينتشر بين القبائل ويسطر أمجادها على نطاق أوسع من الشعر المكتوب باللغة الدارجة المحصورة في بقعة معينة ؛ فالشعر الفصيح -في نظرهم – هو الذي يستحق الرواية والاعتناء ؛ لعمومية اللغة التي نظم بها، ولإمكانية انتشاره وبقائه، كما أن الشعر يزداد شهرة ورواية كلما ازدادت فصاحته، وقويت

(١) السابق ٨٧.

(٢) طه حسين، الحياة الأدبية في جزيرة العرب ص٢١.

علاقته باللغة الفصحى، ولذلك يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن لغات العرب والقبائل التي ابتعدت عن قريش وما أحاط بها من القبائل كبعض ربيعة ولخم وجذام وغسّان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين للفرس والروم والحبشة؛ يقول: "وأمّا من بعد عنهم فلم تكن لغتهم تامّة الملكة بمخالطة الأعاجم" ثم يضع المعيار الذي تقاس به صحة لغتهم وسلامتها فيقول: "وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصّحّة والفساد عند أهل الصّناعة العربيّة"(١)، ولا شك في أن تلك القبائل قد أفرزت شعرا كثيرا لم يرو منه إلا أقله باعتبار الصحة والسلامة والقرب أو البعد من لغة قريش، وأما الشعر الذي ذكره ابن خلدون وأن ابن قزمان هو من جرده من الإعراب؛ فلولا أن ذلك الشعر تسلل إلى حقل الغناء والطرب لما رأيناه ولما سمعنا له ذكرا، وقد وجدت الازدواجية اللغوية في ذلك العصر وفي كل عصر فلا تكون لغة الشعر والأدب والثقافة هي لغة السوق، ولغة البيع والشراء ومحادثة الصبيان، ولا تكون لغة الشعر واحدة؛ فمن القصائد تلك التي كانت بلغة قريش فتراها تعرض في كل محفل وقد تصل إلى الخيمة الحمراء للنابغة الذبياني، ومنها ما لايتجاوز القبيلة التي قيل فيها.

وكما كانت اللغة الدارجة فرعا عن اللغة العربية الفصحى، فإن الشعر الشعبي فرع عن الشعر الفصيح، وله أهمية كما للشعر الفصيح أهمية؛ وأهمية الشعر الشعبي تختلف عن أهمية الشعر الفصيح، حيث تكمن أهمية الشعر الشعبي في أنه يحمل الموروث الشعبي والتاريخ الإنساني بتفاصيله المختلفة للحقبة التي يعيش فيها الشاعر، وهو الذي يحفظ لنا وللأجيال القادمة لغات القبائل ولهجاتها، وإن الأجدر

(١) ابن خلدون، المقدمة ١/ ٧٦٥.

بعلماء العربية أن يوصوا بدراسة هذا النوع من الشعر والبحث في أصوله ونشأته وتطوره، وأن يربطوا بينه وبين الشعر العربي الفصيح؛ ليقدموا للأجيال القادمة صورة واضحة عن رحلة لغتهم عبر هذه المسالك، وألا يفجأ المستقبل أحفادنا أمام نوع من الشعر لا يعلمون له أصلا ولا نشأة ولا مراحل تاريخية موثقة.

المطلب الثالث: كيف نوظف المادة اللغوية للشعر الشعبي في البحث العلمي؟.

إن الحديث عن توظيف المادة اللغوية في الشعر الشعبي سابق لأوانه؛ فعلينا أولا أن نملك هذا المادة اللغوية لنستفيد منها، ولكنني أذكر ذلك هنا لأدلل للقارئ الكريم على أهمية جمع الشعر الشعبي، وحاجتنا للاستفادة من مادته اللغوية.

فعندما نتأمل القصائد الشعبية التي تقال في هذه الأيام فإننا نلحظ فيها بساطة اللغة وقرب المعنى، وقرب الفهم من المستمعين والمتابعين، في حين أننا نطلع على بعض القصائد التي قيلت منذ ثلاثين وأربعين عاما فلا نكاد نفهم كثيرا من ألفاظها؛ لأنها كتبت بلغة أهلها الدارجة قبل شيوع التقنية ووسائل الاتصال والتواصل إلى الحد الذي فقدت معه كل لهجة معالمها وهويتها، وأما قصائد اليوم فمع انتشار اللغة البيضاء وطغيانها على الأعمال الأدبية الشعبية؛ ومع النظر في إمكانية ضياع التراث السابق واندثاره فإن الحاجة لجمع وتدوين الشعر الشعبي تبدو جلية للعيان، وأذكر مثالا على ذلك بقصيدة شعبية للشاعر: محمد الغُوَيْد من منطقة الباحة:

التَّعادُلْ بينهَا صعْبٍ يكيـــــدْ فِيْ مسافَاتْ طويلهْ وابْتعْـــادْ
واختصارِ القولِ عن كثْرِ الهَبيدْ الكَلامَ العَدْلِ والرَّايَ الرَّشادْ
يقْتدِي به راعِيَ الحظِّ السّعيــدْ ما يسِّويّ لهْ تحيّزْ واتِّحـــادْ

فهذه القصيدة كتبت في السبعينات من القرن الماضي، ونلمس فيها أصالة اللغة، ووضوح انتمائها للمنطقة الجنوبية دون غيرها من مناطق المملكة العربية السعودية، فنرى كلمة: الهَبيد مثلا؛ وتعني الضرب العنيف العشوائي، وهي كلمة منتشرة في بلاد غامد وزهران وتستخدم إلى هذا اليوم، فيقال هَبَدَ الرجل وهَبَدْتُه، أي ضربته، ولها أصل في المعاجم اللغوية؛ حيث وردت بمعنى جني الهبيد، والهَبْيدُ في المعاجم اللغوية هو الحنظل، وجاء في جمهرة اللغة: الهبْدُ هو اسْتِخْرَاج الهَبْيدُ وَهُوَ حبّ الحنظل يصلح حتى تخرج منه مرارته فيؤكل. يقال: خرج الناس يتهبدون إِذا خَرجُوا يَفْعَلُونَ ذَلِك، وَفِي حَدِيث عمر رَضِي الله عَنهُ: (فتملأ لَهَا يمينتيها من الهبيد).

وقيل الهبْدُ: هو كسْر الهبيد؛ فهو وجنيُهُ بمعنى، فجنيُ الهبيد يكون بكسرِه وجمعه.[1]

وانظر إلى مثال آخر لايزال يروى ويتناقله الناس للشاعر محسن الهزاني من نجد ت ١٢١٠هـ:

واسألكْ غاديًا ماديًا كلما ... لجَّ فيه الرَّعَدْ حلّ فينا الوَجَلْ

المحثِّ المرثِّ المحـــنِّ المرنِّ ... هـــاميًا ســـاميًا آنيًا متصلْ

وللشاعر الأمير عبيد العلي الرشيد من مدينة حائل ت ١٢٨٢هـ:

القلبْ من كثرِ الهواجيسْ قزَّانْ ... ما يستريح من الدّهـــرْ ربعْ ساعةْ

يا غافر الزلاتْ يا والي الشانْ ... تجعل من التقوى لنفسي بضاعةْ

أنا على لان وربعي على لانْ ... متخالفٍ رايي وراي الجمـــاعةْ

---

(١) الخليل، العين ه ب د

الأزهري، تهذيب اللغة ه ب د

بن عباد، المحيط في اللغة ه ب د

ماني ولد شاوي يسرّح الضـــــانْ يفرح بتصنيف البهم والرضاعـــةْ
أنا ولد علي سلايل كحيـــــلانْ وربي خلقني للسبايا وداعـــــهْ
عيب على اللّي يتقّي عقب ما بانْ وعيبٍ طمان النفسْ عقب ارتفاعهْ

فهذه المفردات التي طرأ عليها التطور الصيغي أو الدلالي، وتم استخدامها من قبل الشاعر بما انتشر بين الناس في وقته حري بأن يدون ويوثق، وإني أتساءل: ألا ينطبق علينا الحال في المقولة المشهورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " كَانَ الشّعْر علم قوم لم يكن لَهُم علم أصح مِنْهُ فجَاء الْإِسْلَام فتشاغلت عَنهُ الْعَرَب وتشاغلوا بِالْجِهَادِ وغزو فَارس وَالروم ولهت عَن الشّعْر وَرِوَايَته ؛ فَلَمَّا كثر الْإِسْلَام وَجَاءَت الْفتُوح واطمأنت الْعَرَب بالامصار راجعوا رِوَايَة الشّعْر فَلم يؤولوا إِلَى ديوَان مدون وَلَا كتاب مَكْتُوب وألفوا ذَلِك وَقد هلك من الْعَرَب من هلك بِالْمَوْتِ وَالْقَتْل فحفظوا أقل ذَلِك وَذهب عَلَيْهِم مِنْهُ كثير"[1] فقد تشاغل العرب بالجهاد وغزو فارس والروم وضاع كثير من اللغة، لأنهم لم يعودوا إلى ديوان موثق، ولا إلى كتاب مكتوب، وأما نحن فقد تشاغلنا بحثّ بعضنا بعضا على ألا نجمع الشعر ولا نهتم به لأسباب ما أنزل الله بها من سلطان، وما قام لعاقل بها دليل ولا برهان، فإذا لم تجمع هذه الأشعار وتدون وتنقل للأجيال بعدنا فسنفقد كنوزا من اللغة والاستعمالات الخاصة بهذه البلاد دون عذر لنا في ظل توافر كل وسائل الجمع الكتابي والشفهي.

وأما قصائد الشعر المعاصر فنجد الغالب منها يظهر عليه أثر اللغة البيضاء التي يسعى كثير من المتحدثين وفي جملتهم الشعراء للتحدث بها، لينال حديثهم الفهم والقبول عند أكبر عدد ممكن من الناس ؛ حيث اتحدت مشاربهم على لغة قريبة، لا

(١) بن سلّام، طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٤ -٢٥.

ينكرها السامعون، ولايمجها الرواة والمنشدون، فنجد القصيدة لشاعر من الشمال يفهمها أهل الجنوب دون أن ينكروا شيئا منها، ونجد القصيدة من بادية نجد لا يجهل منها المستمع في شمال المملكة ولا في جنوبها كلمة واحدة؛ يقول الشاعر خالد المريخي من شعراء قبيلة مطير:

هاكِ كلّ القصايدْ.. هاكِ وأقريهنّ لاتقولين وشْ آخرهنّ وش أوّلهنّ
كلّهنْ فدوةٍ لكْ هـــاكِ قوليهنّ في لسانكْ ترى لسـانكْ..يجملّهنّ
غيبتكْ أثّرت في حـــال راعيهنّ قطعةَ أيّام عيّا لايتحمـــــــلّهنّ
بسّ يمكنْ ثلاث أيـــام غبتيهنّ لعنبو..هالثّلاث أيامْ..مااطولهـــنّ

بل إننا نجد ديوان شعر كاملا لايخفى علينا منه كلمة، وهذا ليس معيبا، بل ويعد ميزة يتميز به الشاعر لأنه يسعى لانتشار شعره، وليس اهتمامه بعرض مقدرته وأصالته اللغوية.

المبحث الثاني

محاولات جمع الشعر الشعبي السابقة.

لقد عانى الشعر الشعبي من الإهمال لفترة طويلة، وهو إهمال متعمد - في نظري - لأسباب عدة، أهمها:

- توهم أن هذا النوع من الشعر يبعد الناس عن مصادر التشريع؛ فيعمق الهوة بين الناس واللغة العربية الفصحى، وبالتالي بين الناس والقرآن الكريم.
- نظرة المثقفين والمتعلمين للشعر الشعبي بنوع من الازدراء.
- أن المعنيين بالتدوين والتوثيق هم من المثقفين الذين يتخذون موقفا سلبيا من الشعر الشعبي.
- أن جل الشعر الشعبي وأجوده يكون في المناطق البدوية التي يقل فيها التعليم وتقل فيها ذات اليد.

وأشير إلى أن هذا الاستعراض لأبرز محاولات جمع الشعر الشعبي السابقة، وليس استقراء لكل محاولة للجمع؛ وسيتضح معنا بعد هذا المبحث الحجم الحقيقي للشعر الشعبي المفقود، وللشعر الشعبي الذي ما يزال بين جنبينا ولكنه مهمل من التدوين والتوثيق.

المطلب الأول: المخطوط.

لاشك أن للشعر الشعبي كأي نتاج أدبي من يؤيده ويحرص على بقائه، وتناقله، ولذلك فإننا نجد عددا من المخطوطات التي كانت بيد الشعراء أو بيد المهتمين من المتعلمين بتوثيق الشعر الشعبي، ونحن نتكلم هنا عن المخطوطات القديمة للشعر الشعبي الذي يعود بعضها إلى منتصف القرن التاسع عشر، ويمكننا تقسيمها إلى مخطوطات عامة، ومخطوطات خاصة.

فالمخطوطات العامة هي التي جمع بها الشعر دون النظر والتفريق والتصنيف، بل كان المراد منها كتابة الشعر وحفظه فقط، وأما الخاصة فهي التي نقلت نتاج شاعر بعينه أو غلب عليها شعر شاعر واحد؛ وقد يكون هو الذي كتبها فدوّن شعره؛ ثم أضاف إليها ما أعجبه من الشعراء الآخرين، ولست بمعرض الاستقراء لجميع المخطوطات، ولكن حسبي من ذلك ذكر ما تصل به الفكرة وتتم به الفائدة لنتصور طريقة تناقل وتدوين الشعر الشعبي في تلك الفترة وعبر هذه الوسيلة؛ فمن ذلك:

- مخطوطات الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي توفي عام ١٤٠٢هـ، وتوجد مخطوطاته في مركز ابن صالح للمخطوطات بعنيزة، وهو شاعر له مكانته مما انعكس على جمعه فتجده يصلح الوزن، ويضيف بعض الكلمات أو يستبدلها عند تعارضها مع الوزن أو عند فقدها.
- مخطوطات محمد بن عبدالرحمن بن يحيى توفي عام ١٤١٤هـ، ومنها نسخة على المايكروفيلم بقسم المخطوطات بجامعة الملك عبدالعزيز، وقد شكك الباحثون في كثير من محتواها؛ لكونها تحمل ألفاظا يترفع الشعراء عن ذكرها إضافة إلى كثير من الأخطاء في الوزن والكثير من السقط.
- مخطوطات الشيخ محمد العمري: وهي في مكتبة جامعة الملك سعود؛ إلا أنها لا تحمل قيمة أدبية ولا تاريخية لكونها مجرد نقل من مخطوطات الربيعي أو ابن يحيى.
- مخطوطات هوبير المخطوطات التي جلبها تشارلز هوبير من حائل إبان زيارته لها في عهد إمارة محمد بن رشيد سنة ١٨٧٨ و ١٨٨٣م، وقد صنفها وفهرسها بكتابة مطالع القصائد التي تحتويها تلك المخطوطات،

وهي موجودة في مكتبة جامعة ستراسبورج في ثلاثة دواوين لا تخلو من التكرار، وهي من أقدم ما وصلنا من المخطوطات للشعر النَبَطِيّ.

- مخطوطة الحساوي: وفيها ٥٣ قصيدة، وهي والتي اشتراها المستشرق السويسري ألبرت سوزين من رجل يدعى محمد الحساوي وطبعت في كتاب تحت اسم: (ديوان من وسط الجزيرة العربية) DIWAN AUS CENTRALARABIEN .
- مخطوطة الصويغ: وتحوي ٣١٦ قصيدة بخط واضح مع وجود بعض السقط فيها، ويكتب في أسفل كل قصيدة"تمت"، ويستعمل فيها طريقة" التقييدة" وهي أن يضع الناسخ أول كلمةٍ من الصفحة في أسفل الصفحة التي تسبقها، والحكمة في ذلك أن يحافظ على ترتيب الصفحات فيسهل الترتيب دون أن تتقدم صفحة على أخرى.
- مخطوطة الداود: وفيها أكثر من ٣٤٠ قصيدة لشعراء مختلفين، كتبت بخط واضح، وحرص على تنسيقه بالبدء بفهرس كتب فيه اسم الشاعر ورقم الصفحة، ثم رسم خطوطا طولية تفرق بين الشطرين لتتم الكتابة بشكل متناسق دون تداخل.
- مخطوطة الشريطي: وفيها أكثر من مائة وأربعين قصيدة لشعراء مختلفين بخط واضح جدا.
- مخطوطة الذكير: وهي في ١٩٦ صفحة بخط جميل ومقروء.
- مخطوطة الغوينم: وكتب في بدايتها: لجامع مجهول من أهل الرياض، ويبدو أنها كتبت في عهد قريب جدا، وتوجد في مكتبة عبدالعزيز بن عبدالله المضحي - حوطة تميم؛ وظهر شعار هذه المكتبة في النسخة المصورة منها في أول صفحة منها.

- ويلحظ على ماسبق من المخطوطات بعض الملاحظ ؛ أوردها فيما يلي :
- عدم دقة السند في نسبتها لأصحابها ؛ فهذا ديوان كامل به مئات القصائد ينقله مستشرق عمن سماه محمد الحساوي، والذي لا يذكره التاريخ ولا أحد يعرفه، وذلك ينقل قصائد قبل أربعمائة سنة لانعلم كيف وصلت إليه، كيف يكون ذلك وكيف نصدقه، وهو ينقل عن المعاصرين له بأخطاء في الوزن والمعنى، يوضح الصويان بعد تأمل ودراسة لمخطوطات عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي، ومحمد عبدالرحمن بن يحيى أن هذين الراويين يظهر في نقل أحدهما أنه شاعر متقن ومتمكن لأنه كان يصلح الوزن ويستكمل بعض الألفاظ التي طمست أو لم يتمكن من قراءتها، وأما الآخر فإنه لا يملك الموهبة فنقلها بكثير من السقط والخطأ في ميزان الشعر.[١]
- لم ينقل إلا أقل القليل في تلك المخطوطات ولم يسلم ليصل إلينا إلا النزر اليسير منها، ولا أدل على ذلك من خصوصية الأشعار التي وصلتنا فهي إما من أشعار أمراء في زمانهم أو من شاع وانتشر شعره ؛ حتى وصلت إلينا أسماؤهم بالتواتر كابن رشيد ومحسن الهزاني وسالم الشليخي، وغيرهم، أو ضمنت فيما بعد ضمن الإصدارات العامة[٢].

---

(١) الصويان، الشعر النَّبَطي ص ٢٠١.

(٢) كما ضمنت مخطوطة ابن رشيد -مثلا - في سلسلة: الأزهار النادية لمحمد سعيد كمال، وفي: خيار ما يلتقط من شعر النبط لعبد الله الحاتم.

- لم تلق تلك المخطوطات الاعتناء اللازم من المعاصرين، فلم يحقق كثير منها، وما حُقّق لم تتناوله الدراسات العلمية والأبحاث بالكمّ الذي يستحقه.

فإذا كانت هذه هي الحال مع مخطوطات وشعراء من منتصف القرن التاسع عشر فكيف بنا إذا تطلبنا ماهو أقدم من ذلك... لقد اندثرت أشعار كثيرة واندثر معها تاريخ وملامح وتفاصيل نحن أحوج مانكون إليها.

المطلب الثاني: الطباعة.

أولا / الدواوين:

وأقصد بذلك الدواوين الشعرية التي نشرت في الساحة الثقافية والإعلامية، وهي قليلة جدا إذا ما قارناها بالحراك الشعري في ذلك الوقت، وأسوق بعض المطبوع منها الذي وصلنا بحسب التسلسل التاريخي؛ كشاهد على قضيتين:

الأولى: قلة الشعر الشعبي الذي وصلنا مطبوعا من القرنين الماضيين، وبالتالي قلة المفردات التي نقلت إلينا عبر هذا المنفذ الثري باللغة.

والثانية: أهمية هذه الدواوين، ومكانتها اللغوية في الاستشهاد والبحث والتقصي عن المفردات العربية، وما تأثر منها بتلك الحقبة من عدمه.

- أول ديوان ضم الشعر الشعبي هو للمستشرق الألماني ألبرت سوزين وهو المخطوط الذي اشتراه من محمد الحساوي وطبعه تحت عنوان: من وسط الجزيرة العربية، DIWAN AUS CENTRALARABIEN في عام ١٣١٩هـ، ويقع في ثمانمائة صفحة، واحتوى على مئة واثنتي عشرة قصيدة.
- ديوان قاسم بن ثاني الذي جمعه وطبعه آل ثاني في جمادى الثانية عام ١٣٢٨هـ في المطبعة الصفوية في الهند - بومباي، وقد عنون الكتاب بعنوان: رسالة في

شعر النَّبَط، ثم أتبع الكاتب هذا العنوان بقوله: كما أن شعر بني هلال من هذا النمط، ويتضح من ذلك ربط الشعر النَبَطِيّ الذي يحويه هذا الكتاب بشعر بني هلال الذي قيل عنه إنه بداية الشعر النَبَطِيّ كما هو عند ابن خلدون الذي أورد قصائد غير ملتزمة بالوزن والقافية ونسبها لبني هلال [1]، وقد احتوى الديوان على قصائد الشيخ قاسم وبعض قصائد الشعراء المعاصرين له مثل الشيخ تركي بن حميد والشيخ راكان بن حثلين والشاعر عبدالله بن سبيل، كما اشتمل الكتاب على مدونة لتواريخ بعض الحوادث من نهاية القرن العاشر الهجري وحتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري شملت في اغلبها أحداث الدولة السعودية الأولى والثانية.

- كتاب خالد الفرج الذي جمع فيه شعر عبدالله الفرج (محيي الهوى)، وقد طبعه في حاضرة الطباعة آنذاك: الهند عام ١٣٣٩هـ، ، وأعيدت طباعته في دمشق ١٣٧٢هـ، ولكنه طبع بعدد ١٥٠٠ نسخة فقط وزعت على أصدقاء الشاعر، ولذلك فإنه يعد من الكتب النادرة.
- ديوان خالد الفرج حيث ألف ديوانا ضخما من مجلدين وأسماه: ديوان النَّبَط: مجموعة من الشعر العامي في نجد، وطبع في دمشق عام ١٣٧١هـ.
- خيار ما يلتقط من شعر النَّبَط، لمؤلفه عبدالله الخالد الحاتم في عام ١٣٤٧هـ، وهو نفسه ديوان منتخبات من الشعر النَبَطِيّ لشعراء نجد، ويتطابق معه تماما إلا أنه بالاسم الثاني لم ينسب صراحة إلى عبدالله الحاتم مما كان مدخلا للتشكيك في أنه

(١) ابن خلدون، المقدمة ١/ ٨٠٦ وما بعدها.

نقل من ذلك المجهول ونسبه إلى نفسه، وسيأتي معنا في النماذج المختارة من جهود الجمع السابقة.[١]

- ديوان عيون من الشعر النَبَطِيّ لأشهر شعراء الجزيرة العربية منذ خمسمائة عام، ملحقا به ديوان الشاعرين حميدان الشويعر ومحسن بن عثمان الهزاني لعبدالله الخالد الحاتم رحمه الله، وقد قام بجهد طيب فيه حيث كان يفسر ما استغلق من بعض الألفاظ ويشرحها ويبسط معانيها.
- ديوان الشاعر علي الحمد الصفراني، وهو الشاعر السعودي الذي درس بمدارس الفلاح وأبدع في الشعر وهو على مقاعد الدراسة، وطبع ديوانه في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز بمطابع الأصفهاني بجدة عام ١٣٧٧هـ.
- ديوان الشاعر عبدالمحسن بن فوزان آل سويلم البدراني طبع في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح ١٣٦٩ ١٣٨٤هـ.
- الأزهار النادية من أشعار البادية، لمحمد سعيد كمال رحمه الله ١٣٣٥ هـ - ١٤١٦هـ، وسيأتي معنا في النماذج المختارة من جهود الجمع السابقة.[٢]
- الأدب الشعبي في قلب جزيرة العرب لعبدالله بن محمد بن خميس، وطبع بالرياض عام ١٣٧٨هـ، والطبعة التي اعتمدتها في هذا البحث هي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، وقدمه بإهداء ينم عن هدفه من الكتاب حيث أهدى كتابه لمن يعمرون أنديتهم بأمجاد الجزيرة وبطولاتها ويرون فيهم مثلهم الأعلى وقدوتهم الحسنة، ويعملون على ربط حاضرهم بماضيهم.

---

(١) ص (٣٣).

(٢) ص (٣٥).

- المجموعة البهية من الأشعار النَبَطِيّة لعبدالمحسن بن عثمان أبابطين.
- ديوان الدرر اليتيمة من أشعار النَّبَط القديمة لجامع مجهول.
- أول خلطة من شعر القلطة، جمع علي بن عبدالرحمن الماجد وعلي السالم العباد، بدون تاريخ أو مكان طباعة.
- شاعرات من البادية، تأليف عبدالله بن محمد بن رداس الحربي.
- شعراء نجد المعاصرون، تأليف عبدالله بن إدريس، طبع بالقاهرة عام ١٩٦٠م.
- ديوان روضة الشعر، جمع بأمر الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وذلك عام ١٣٨٠هـ.
- روائع من الشعر النَبَطِيّ، لعبدالله بن عبدالرحمن اللويحان طبع بمصر عام ١٣٨١هـ.
- ديوان نسمات الربيع، لأحمد الناصر الشايع، طبع عام ١٣٨٤هـ.
- شعراء الرس النَبَطِيّون، تأليف فهد الرشيد، طبع بدمشق عام ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- أما الدواوين الخاصة المطبوعة لشعراء معينين؛ فقد توالت بعد عام ١٣٨٠هـ، وكان من أبرزها:
- ديوان حميدان الشويعر عام ١٣٨٠هـ.
- ديوان إبراهيم بن محمد القاضي عام ١٣٨٠هـ
- ديوان محسن بن عثمان الهزاني عام ١٣٨٣هـ.[1]

(١) بن خميس، الأدب الشعبي ص٤٩٢.

وتوقفت عند سنة ١٣٨٥هـ لأنني كنت مكتفيا ببعض النماذج، ثم لأنها السنة التي انتشرت فيها الطباعة في المملكة العربية السعودية من شمالها إلى جنوبها؛ وبعد ذلك توالت طباعة الدواوين العامة والخاصة.

ومع كل هذا فالمطبوع لا يمثل الحركة الأدبية في ذلك الوقت ولا ينقل الجزء الكافي من الصورة اللغوية عن المجتمع في دول الخليج وقبائل الجزيرة العربية في تلك الفترة التي واكبت أحداثا جساما رافقها الشعر خطوة بخطوة، ولكن الأمر مازال في المتناول بالعمل الجاد على تلافي ذلك القصور بأمرين:

العمل على جمع المخطوطات السابقة وتحقيقها، ولا بد أن تعقد لهذا العمل الدراسات وورش العمل وتعمل عليه المشاريع البحثية في الجامعات وغيرها من مراكز البحث.

والأمر الثاني هو استثمار وجود الشعراء المطبوعين والمتقنين والرواة المحترفين ممن لازالوا بين أظهرنا، ولم تغلب عليهم اللغة البيضاء، ولم تغز ألسنتهم وسائل التقنية ومواقع التواصل الاجتماعي؛ للحصول على مالديهم من ثروة لغوية شعرية، وكذلك -وهو الأهم - الحصول منهم على قراءة صحيحة للقصائد الشعبية المخطوطة والمطبوعة؛ لأنه كما هو مقرر فإن الأخطاء الإملائية التي تعيق القراءة الصحيحة تنتشر بكثافة في المخطوطات الشعرية للشعر الشعبي والكتب المطبوعة عنها[1].

ثانيا/ النشر في الصحف والمجلات.

---

(١) الصويان، الشعر النَّبَطي ص ١٨٧.

الرويس قاسم، هل الكتابة تفسد الشعر، صحيفة الرياض، العدد ١٥٧٠٩.

إن الثقافة والصحافة وجهان لعملة واحدة وإن كان لنا أن نسمي تلك العملة الواحدة، والقطعة النقدية النفيسة لسميناها الأدب، فبداية الصحافة في المملكة العربية السعودية كانت بداية أدبية؛ حيث إنها كانت صحافة أفراد، وجل أولئك الأفراد من الأدباء حتى غدت الصحف السعودية ساحات للأدب والثقافة؛ مما حدا بالصحفيين الذين درسوا فن الصحافة في القاهرة وعادوا إلى المملكة في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري أن يسعوا ويدعوا إلى تخليص الصحف من ربقة الأدب، وإذا تحدثنا عن صحافة الأفراد فإننا نعني بذلك الفترة من عام ١٣٤٣هـ إلى ١٣٨٤هـ، أي بعد دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز وإعلان توحيد المملكة في عام ١٣٤٣هـ، حيث كان بإمكان أي مواطن أن يصدر صحيفة ويسميها كما يشاء، ولذلك اكتسح المثقفون والأدباء المشهد، وأصبح بالمملكة العربية السعودية عشرات الصحف بالإضافة إلى عشرات الطلبات المقدمة لإصدار تراخيص جديدة؛ مع قلة عدد السكان وقلة القراء فيهم، واستمرت هذه المرحلة إلى أن صدر قرار إلغاء الامتيازات الفردية للصحف وإصدار نظام المؤسسات الصحافية عام ١٣٨٣هـ، وبالطبع فلم يكن للأدب الشعبي حضور كافٍ في الساحة الثقافية آنذاك فقد كان كثير من أصحاب القلم وملاك الصحف يأنفون من رواية الشعر الشعبي وكتابته؛ علاوة على أن محبي هذا النوع من الشعر في الغالب من الأميين.

وكان النشر في الصحف الداخلية والخارجية على استحياء فمما نشر قبل دخول الصحف إلى المملكة، وهي أول قصيدة شعبية تنشر في الصحافة هي القصيدة المنشورة في صحيفة الهلال المصرية عام ١٣٣٣هـ، وهي عبارة عن رثاء للشيخ عايض زعيم آل طالب، الذي قتله بنو كندة، ووراء ذلك النشر ما وراءه من هدف سياسي؛

فلم يكن الشعر الشعبي من المحبب نشره لدى الصحف التي تخاطب بشكل أكبر المثقفين والمتعلمين.

ويؤكد ما أرمي إليه هنا تلك الدراسة القيمة التي أجراها عبدالله الرقيب الثبيتي تحت عنوان: الشعر العامي في جريدة القبلة، فجريدة القبلة هي جريدة صدرت في مكة المكرمة بين عامي ١٣٣٤و١٣٤٣هـ، وتعود أهمية هذه الدراسة إلى أنها كانت في وقت مبكر جدا، وهي دراسة قيمة في هذا المجال خلص فيها الباحث إلى أن اهتمام الجريدة بالشعر الشعبي كان في سياق سياسي معين ووظفت تلك القصائد في عمل معين لخدمة أهداف محددة، فالمناسبة الأولى كانت مواكبة للثورة العربية فكان الهدف من النشر أن تذكي روح الحماسة والعروبة؛ فنشرت أكثر من ٢٨ موضوعاً تهدف من خلالها -كما يرى الثبيتي - إلى استمالة ممثلي ووجهاء القبائل وبث روح الحماسة والحمية في أفرادها، والثاني كان في سنة ١٣٤٢هـ؛ حيث نشرت الصحيفة ثلاثة موضوعات حول إعلان الحسين بن علي نفسه خليفة للمسلمين لتظهر تأييد أهل الحجاز للحسين. وأما خارج هاتين الفترتين فلم تنشر القبلة سوى موضوع واحد، وبلغ عدد الشعراء الذين نشرت لهم الصحيفة قصائد شعبية ثمانية عشر شاعراً، وكانت القصائد المنشورة جميعها تدور حول الحماسة والمدح، وهي علامة بينة على أن الهدف لم يكن أدبيا ولا ثقافيا البتة، وقد لحظ الثبيتي أيضا كثيرا من الكسر وعدم الاستقامة في كتابة الأبيات؛ مما يعني أن القائمين على نشر القصائد الشعبية في تلك الصحيفة لم يكونوا على دراية كافية؛ ليفرقوا بين البيت المكسور والبيت السليم في هذا النوع من الشعر؛ فضلا عن الاهتمام به ودعمه بالطباعة والنشر.

وكانت القسيمة الكبرى للملكة العربية السعودية في الاهتمام بالشعر الشعبي هي دولة الكويت ومن أبرز الصحف التي اهتمت بالشعر الشعبي فيها جريدة القبس،

وجريدة السياسة، وأما في السعودية فمع صدور قرار إلغاء الامتيازات الفردية للصحف وإصدار نظام المؤسسات الصحافية عام ١٣٨٣هـ، فقد تبوأ الشعر الشعبي مكانة عالية؛ إذ لم تعد السيطرة لأصحاب الأقلام الرفيعة والثقافة العالية الذين لا يحبذون نشر الشعر الشعبي في صحفهم، ولكن المتحكم في الأمر في الفترة الثانية هي ذائقة المجتمع، وروح التنافس في سوق النشر التي غدت هي الجهة المحددة بشكل فعلي للمادة المنشورة، فظهرت الصفحات الشعبية في الجرائد والمجلات، وهي بحسب التسلسل التاريخي كما يلي:

صفحة (البادية والزراعة) في جريدة البلاد عام ١٣٨٣هـ؛ بإشراف محمد بن بركي، ويعتبر مؤسس الصفحات الشعبية في الصحف الخليجية، ثم أنشأت البلاد صفحة شعبية بعنوان: البلاد النَبَطِيّة، تحت إشراف عبدالله زهير الشمراني عام، وتصدر بشكل أسبوعي كل يوم جمعة.

صفحة (نواوير شعبية) في جريدة اليوم، وقام عليها محمد دخيل العصيمي.

ثم كانت الصفحة الشعبية في جريدة عكاظ على يد الكاتب عبدالله الجفري، ثم تطورت كثيرا عن طريق سعد الثوعي الغامدي.

وظهرت الصفحات المتخصصة في المجلات الأسبوعية، وكانت بدايتها في مجلة اليمامة عام ١٣٩٧هـ التي بدأت بنشر الشعر الشعبي بمتابعة وإشراف من راشد بن جعيثن، حيث أضاف إلى نشر الشعر الشعبي النقد والتحليل، واستطاع أن يلفت الأنظار إلى مجلة اليمامة كداعم ومحرك لحركة الشعر الشعبي في الخليج العربي وفي جريدة الجزيرة انطلقت صفحة: تراث الجزيرة الشعبي بإشراف الشاعر عبدالله الثميري في عام ١٣٩٨هـ.

وصفحة الشعر الشعبي في جريدة المدينة بإشراف الشاعر الحميدي الحربي في عام ١٤٠٢هـ، ثم أصدرت جريدة المدينة صفحة (تضاريس)، وهي أول صفحة شعبية تهتم بشعر المحاورة عام ١٤١٦هـ تحت إشراف عبدالله الفارسي، وفي جريدة الرياضية ومع بداية تأسيسها في عام ١٤٠٨هـ صدرت صفحة خاصة للشعر الشعبي تحت عنوان: منوعة وشعر؛ بإشراف عابد الحربي.

وجراء هذا الاهتمام ظهرت المجلات المتخصصة في الأدب الشعبي وكان التنافس أيضا بين الكويت والسعودية؛ فكانت أول مجلة متخصصة في هذا المجال في دول الخليج هي مجلة الغدير الكويتية في عام ١٩٨٩م، ورئيس تحريرها خلف الحربي، ثم صدرت مجلة المختلف في العام نفسه، وكانت منافسة قوية لمجلة الغدير بل إنها استفادت من أخطاء الغدير وتفوقت عليها، وكان على رئاسة تحريرها ناصر السبيعي ثم توالت بعد ذلك المجلات المتخصصة في الشعر الشعبي؛ فنلحظ أننا في هذا التسلسل والسياق التاريخي قد اقتربنا من عصر وسائل التواصل الاجتماعي التي طغت على الصحف والمجلات التي فقدت بريقها شيئا فشيئا، فما سبق كله عن البدايات في عصر الصحافة الخليجية والسعودية بشكل أدق لاسيما في زمن مأسسة الصحف، ومازالت الصحف السعودية والخليجية تولي الشعر الشعبي مكانته المستحقة غير أن الصحافة الورقية تعاني من الضعف وقلة الإقبال فلم تعد المحرك الأهم للنشاط الإعلامي عموما و للنشاط الثقافي على وجه الخصوص الثقافي؛ فما لبثت تلك الصحف والمجلات أن تحول الكثير منها إلى القنوات التلفزيونية، ولم يعد يهتم بمتابعتها إلا القليل من الشعراء والقراء، مما حدا بكثير من المجلات المتخصصة إلى التوقف.

وإن من حسن الطالع أن الصحافة في زمن الأفراد لم تحفل بالشعر الشعبي في الجزيرة العربية، وهذا مما حفظ على الشعر الشعبي خصوصيته وأصالة لغته، ولكنه

بعد أن انتشر في الصحافة وخصصت له صفحات في الجرائد والمجلات ؛ بل وصدرت مجلات خاصة بالشعر الشعبي ، وبعد ذلك كله فقد داخل الشعر ما داخله من التغير والتبدل وبدأت تعتريه اللغة البيضاء ، ولكن ذلك الضعف لم يعتر الشعر الشعبي بالصورة التي طغت عليها لاحقا ؛ فاحتفظ كثير من الشعراء بأصالة لغتهم ، واستمر النقاد في المطالعة وإبداء الرأي.

المطلب الثالث : المحاولات الموسوعية : مكانا وزمانا وموضوعا.

هناك محاولات عدة لجمع الشعر الشعبي في كتاب واحد ، وهذه المجهودات تتخذ أشكالا عدة ؛ فإما أن تتخذ من المكان أو الزمان أو الموضوع رابطًا لها بين القصائد المراد جمعها ، وقد يهمل الموضوع ولكنه يجمع أفضل ما بلغه من القصائد الشعبية ؛ فكأنه ينتخب من الشعر ما يتوج به كتابه ليصبح انتقاء من نوع آخر ، ومن المحاولات لجمع الشعر الشعبي بشكل عام :

● خيار ما يلتقط من شعر النَّبَط ، لمؤلفه عبدالله الخالد الحاتم : ١٣٣٤ – ١٤١٥هـ ، وهو أديب كويتي ومؤرخ وجامع للشعر النّبطي وناشر له وكان أمين عام رابطة الأدباء فى الكويت في عام١٣٨٥هـ ، وكانت طبعة الكتاب الأولى في عام ١٣٧١هـ ، واتسم هذا الكتاب بموسوعيته من جهة الموضوعات والشعراء غير أنه كان ينتقي البارزين منهم فقط ، وكان دافعه لتأليف الكتاب خوفه من ضياع الشعر أو تلاشيه كما ذكر في مقدمة كتابه[1] ، وقد ترجم فيه لأكثر من خمسين شاعرا شعبيا ، وكان يعتمد في اختياره على شهرة الشاعر وذيوع صيته إذ لم يكن الهدف استقراء الشعر النَبَطِيّ عامة وجمعه في هذا الكتاب ، واتسم كتابه بأنه يترجم فيه للشعراء الذين

(١) الحاتم ، خيار ما يلتقط من شعر النَّبَط ٩/١.

يورد قصائدهم، فكان ديوانا شعريا ومرجعا للتراجم في آن؛ وهو إلى ذلك يضع رأيه النقدي في الشاعر وشاعريته، فيصف هذا بأنه ممتاز وشعره بسيط وقريب من الناس، وخال من التعقيد اللغوي[١]، بل يذكر آراءه القيمة في الشعر عموما ومسيرته وتحوله من البادية إلى الحضر وهو بذلك ينقسم إلى قسمين: شعر البادية، وشعر الحضر سكان المدن.[٢]

وقد بدأه بالشاعر راشد الخلاوي[٣] الذي تعذر عليه أن يحدد تاريخ ولادته أو وفاته ولكنه توصل إلى أنه عاش في القرن التاسع الهجري من خلال المعاني التي حوتها قصائده، واختتم بالشاعر عبدالله بن حمود بن سبيل الذي توفي في القرن الرابع عشر الهجري[٤]، كما أن هذا الكتاب لا يخلو من التاريخ فعلى سبيل المثال، وفي مستهله للجزء الثاني فإنه يبدأ بمقدمة تتسم بالإسهاب والتفصيل عن آل سعود، ثم يرى أن من الواجب أن يقدم بسيرة محمد بن عبدالوهاب باعتبار صفته الدينية ومكانته الدعوية وارتباطه بآل سعود ذلك في مرحلة التأسيس؛ ذلك الارتباط الذي يعتبره المؤلف مؤثرا في الحركة الشعرية عامة وفي الشعر النَبَطِيّ على وجه الخصوص، ولا نستغرب أن يكون للمؤلف جانبا من الاهتمام بالموضوعات الدينية فقد عاش في مدينة حفر الباطن بالمملكة العربية السعودية، وكان إمامًا وخطيبًا لأحد جوامعها.[٥]

---

(١) السابق، ١/ ١٩.

(٢) السابق، ١/ ٣٠٩.

(٣) السابق، ١/ ١٩.

(٤) السابق، ٢/ ٣٠٥.

(٥) مجلة النهار الكويتية، العدد: ٢٢١١، الجمعة ١٨ يوليو ٢٠١٤م، صحيفة القبس، صالح المسباح، حول عبدالله الحاتم والروايات التاريخية، .العدد ١٣٢٥٠، الاثنين ١٩ ابريل =

تاريخ نجد في عصور العامية ؛ أو ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد ؛ لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ١٤٠٢هـ، وهو في خمسة أجزاء جمع بين العمل الأدبي والتاريخي، ولذلك فقد نال إعجاب المؤرخين، وعلى رأسهم المؤرخ والأديب عبدالله بن خميس الذي أثنى على الكتاب من حيث منهجه وطريقة تناوله للمحتوى الأدبي وتوظيفه لخدمة اللغة: بشرح المفردات والاستشهاد لها ولما قدمه من توظيف للشعر الشعبي في خدمة التاريخ: بإيراد القصائد والشواهد الشعرية التي تثبت الأحداث التاريخية وتصف الظروف والملابسات المحيطة بها، وكان في ذلك كله يشرح المفردات الغريبة ويوثق أسماء الأعلام والبلدان مما جعل من عمله جهدا موسوعيا من أبرز المحاولات لجمع الشعر الشعبي، وكان ابن عقيل مهتما بالشعر الشعبي وأوزانه ولحونه مما دعاه لتأليف كتاب تحت عنوان: أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه، وقد عمل في هذا الكتاب على التفريق بين الوزن واللحن، وتتبع نشوء بعض البحور الجديدة في الشعر الشعبي ثم بين أنها تعود إلى بحور قديمة، ولكن اللحن أثر عليها فتوهم البعض أنها بحور جديدة.

وقد أُخِذ عليه في كتابه الجرأة على تخطئة كثير من القصائد وتصحيح الرواية بما يقتضيه الوزن في نظره ؛ مع أنه كان مخطئا في كثير منها ؛ كتخطئته لقول الشاعر:

عسى ربي يجي بك يا حمامة في محير السبيل

= ٢٠١٠، موسوعة الكويت: شخصية رقم١٨١٢ https://٢u.pw/vhU٩j

فقد علق على البيت وقال: "والبيت الأول مختل الوزن وكذا البيت الأخير". بينما البيت الأول سليم؛ حيث رواه "السبيل" في حين أن الصواب"السيل" وبه يستقيم الوزن والمعنى، فـ"محير السيل" أي المكان الذي يجتمع فيه السيل. وأما البيت الثاني فينطق"ولا" بتسكين الواو وليس بفتحها.(١)

ومع كل المآخذ فإن حسبنا من جهوده أن قدم خدمة للشعر الشعبي بما حفظه فيه من ظواهر لغوية ومفردات معجمية.

● الأزهار النادية من أشعار البادية؛ لمحمد سعيد كمال، وصدرت في ثمانية عشر جزءاً، وهي من نشر مكتبة المعارف بالطائف العائدة للمؤلف نفسه، ومنها ما طبع بمطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة، ويحوي كل جزء منها أشعارا لمجموعة من جهابذة الشعراء الشعبي؛ فعلى سبيل المثال كان الجزء الأول يشمل أشعار: بديوي الوقداني، وبركات الشريف، ومحمد بن عون....وغيرهم، ويحوي الجزء الثاني أشعار مخلد القثامي، والشريف حمزة الغالبي، وعوض الله الزايدي، وعطية الحارثي، وأحمد حقيب الغامدي، وعوض الله أبو زيد، ومطلق ابن حميد الثبيتي... وغيرهم، وقد يرى المؤلف في بعض الأجزاء أن يربط الشعر بموضوعاته فيستطرد في ذلك؛ ليذكر الأحداث المصاحبة والعبر منها، فعلى سبيل المثال يذكر في الجزء الثالث من كتابه: أنساب شمر، وتاريخ حائل في عصرها الذهبي -كما يرى -، ويذكر آل الرشيد، ومعاركهم وفروسيتهم، ويبين في مطلع هذا الجزء المراد من ذلك؛ فيقول بعد ذكر المعارك: " وبالتالي الاعتبار من هذه النكبات بسبب الخروج على ولي الأمر؛ بسبب المطامع والنزوات الفردية... ومن هذه الحوادث تظهر عظمة جلالة الملك عبدالعزيز آل

(١) السعيد، أجاد الصويان وتناقض ابن عقيل، صحيفة الاقتصادية، ، الجمعة ٧ أكتوبر ٢٠١٦.

سعود رحمه الله" [١]، وعندما يورد الشعراء فإنه يميزهم بوصف ينقل إلينا الصورة من الساحة الأدبية مباشرة؛ فعلى غلاف الجزء العاشر مثلا يكتب: " يشمل على ديوان فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان محمد بن لعبون".

ومما تميزت به هذه الموسوعة الشعرية أن صاحبها كان يحرص على ضبط كلمات القصائد كاملة بالشكل؛ حتى لايدع الحركات الإعرابية والصرفية تعصف بالنطق ومن ثم بالوزن والمعنى كما تفعل الكتابة الإملائية الخالية من الضبط؛ لاسيما أن هذه القصائد تحمل مفردات قد لايجدها الدارس في معاجم اللغة ولايجدها بين الناس في لغتهم الدارجة، وللإيضاح فإن أغلب ذلك المجموع من الشعر الشعبي تطغى عليه مشكلة الرسم الإملائي التي لا تفيه حقه في النطق ووصول الكلمة كما قيلت [٢]؛ وقد انقسم جامعو الشعر العامي في ذلك إلى مناصر للتقيد بالكتابة بإملاء اللغة الفصحى فيكتب التاء المربوطة كما هي حتى ولو نطقت هاء ويكتب الألف مكانها حتى لو اختزلت ولم تنطق مما يولد لدى القارئ ارتباكا ويظن أنه أمام كسر في الوزن أو سقط في الرواية، وبين من يرى بأن على الكاتب أن يكتب النص كما يسمعه بإملاء يوافق الصوت المسموع فقط، ويفصل بن خميس في هذا الموضوع بالمثال ليتضح المقال فيكتب بيتا من الشعر بالكتابة الفصحى ثم بكتابة العوام مفصلا في الأمثلة ومبينا لسعة الهوة، ومن ذلك قول الشاعر:

يا مل قلب كل ما لتم الاشفاق من عام لول به دواكيك واخفوق.

فيلحظ على الكتابة هنا أنها بعيدة كل البعد عن التقيد بالرسم الإملائي، ومفرداته هي:

---

(١) كمال، الأزهار النادية من أشعار البادية ٣/٣.

(٢) الصويان، الشعر الشعبي ذائقة الشعب وسلطة النص ٢٠٤.

يامن لقلب: من الذي لهذا القلب

كل ما لتم الاشفاق: أي كل ما أقبل الليل.

من عام لول: أي من العام الأول.

به دواكيك: به هواجيس وأفكار

واخفوق: وخفقان، وكتبها بالألف لأنه متمة للوزن وهي كذلك في لهجة الشاعر.

ولو أعدناها للرسم الإملائي وعسفنا النطق إلى الإملاء الصحيح؛ فسيكون أشبه بالمحال أن يقرأ كما أراده الشاعر؛ فسيكون هكذا:

يا منْ لقلب كلما التم الأَشفاق من العام الأول به دوا كيك وخفوق

ولو فعلنا فسنوقع القارئ في حيرة من أمره، وسيظن أن هذا البيت لاعلاقة له بالشعر، ثم يبين ابن خميس أن الكتاب من العوام ليست لديهم قواعد ثابتة يتبعونها ففي البيت السابق:

منهم من يكتبه هكذا: ي ا مللقب كلما التم.. الخ.

ومنهم يكتبه هكذا: ياما للقلب.. الخ، ثم يعطي نصيحة لمن يقرأ الشعر الشعبي الذي كتبه العوام أو كتبه من يرى أن كتابة الشعر العامي لا تخضع لقواعد الإملاء الفصيح؛ فيقول: " ولا تعجب إذا وجدت الكلمة مشددة وهي غير كذلك أو بالعكس، أو لم تجد تاء التأنيث، ولو من ذات حر - كما يقول ابن مالك - أو وجدتها والكلام لا يتطلبها"[1]،

(١) بن خميس، الأدب الشعبي، ١/ ٨٣ -٨٤.

ولم يكن نقل ابن خميس -رحمه الله - لهذا البيت دقيقا، وقد جانب الصواب في ثلاثة مواطن:

١ - عدم مراعاته للهجة الشاعر ، وهي اللهجة القصيمية التي تدغم النون في اللام من قوله: (يامن لقلب)، ولو فعل ذلك لزال الكسر المتوهم.

٢ - حينما كتب (لول)، وبيان ذلك أن الدارجة في القصيم تحذف الهمزة قبل (أل) وتنقل حركتها إلى اللام فتنطق: (الَوّل) وبهذا يستقيم الوزن.

٣ - في كتابة (ما لتم) لأن همزة الوصل تكتب في الدرج والبدء في العامية والفصحى، والصواب أن تكتب(ما التم).

وتنبئ هذه الوقفة مع كتابة ابن خميس وخطئه في رواية اللهجة القصيمية عن حجم الخطأ عند غيره من مدوني الشعر الشعبي.

ولعل سبب تفاقم هذه المشكلة أن القائمين على كتابة وتدوين الشعر الشعبي في الغالب من العوام، وكانوا كذلك لأن الساحة خلت من المثقفين وعلماء اللغة؛ لموقفهم المتطرف من كتابة الشعر الشعبي وتدوينه؛ كما أن الشعر الشعبي هو نوع من الأدب الشفهي في أصله، وأن الكتابة إنما دخلت عليه مؤخرا؛ بل إن البعض يرى أن الأدب في اللغة العربية عموما هو أدب شفهي، ولذلك تقل محاولات الجمع فيه ويربط ذلك بمفهوم كلمة الأدب في العربية التي تشتق من كلمة هي بمعنى التأديب والتهذيب؛ لارتباطه بمكارم الأخلاق وما إلى ذلك، وأما في اللغات الأخرى كاللغة الإنجليزية مثلا فالأدب كلمة تطلق على الأدب المكتوب حتى إن كلمة حرف Letter و كلمة أدب Literature تنتمي لجذر لغوي واحد بينما في اللغة العربية لا نجد ذلك الارتباط.[1]

(١) الصويان، الشعر الشعبي ذائقة الشعب وسلطة النص، ص٤٥.

- من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، للأديب والراوي: منديل الفهيد، وتبدأ قصة هذا الكتاب في عام ١٣٨٤هـ حيث انطلق البرنامج الإذاعي عبر إذاعة الرياض تحت اسم: من البادية، وكان الشاعر منديل الفهيد هو الذي يعده ويقدمه، واستمر هذا البرنامج لعشر سنوات، ثم تولى برنامجًا آخر تحت عنوان: من أشعار البادية، وقدم فيه الأشعار الشعبية لمدة عامين[١]، ثم اتجه إلى التأليف وخدمة الأدب الشعبي؛ ليمنحنا خلاصة تجربته في الشعر والرواية؛ فخرجت لنا هذه الموسوعة القيمة في عشرة أجزاء؛ حيث بدأت السلسلة بالجزء الأول في عام ١٤٠١هـ، ثم الجزء الثاني تحت عنوان: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية: قصص وأشعار لنساء العرب، فخصصه للشواعر من النساء، واستمر في إصدار جزء كل عام أو عامين، إلى أن وصل إلى الجزء العاشر والأخير في عام ١٤٢٤هـ، وبين في مقدمة هذا الجزء أنه آخر إصدار لهذه السلسلة، وأنه سيصنع فهرسًا ليسهل على القراء الرجوع إلى القصائد[٢]، وقد أوكل هذه المهمة إلى حفيده: محمد بن فهيد، وتوفي -رحمه الله- في العام التالي؛ عام ١٤٢٥هـ بعد أن ترك لنا ثروة لغوية قيمة تتمثل في البرامج الإذاعية التي قدمها ثنتي عشرة سنة، وفي السلسلة الشعرية من عشرة أجزاء.

وبعد هذا الاستعراض لعدد من محاولات الجمع المتنوعة بين المخطوط وبين المطبوع، وبين معروف القائل ومجهوله، وبين موضوعات الشعر المختلفة التي ازدانت بها الساحة الأدبية في وقتها، فإننا نجزم بأن المجموع على قلته تعتوره عيوب كثيرة أهمها:

---

(١) وسيأتي معنا في المطلب التالي بإذن الله.

(٢) الفهيد، من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، ط١ ١٠/ ١

- لا نستطيع الجزم بصحة نسبة القصائد التي وصلتنا من حيث القائل ولا البلد ولا الزمان ؛ إلا بعد الدراسة والتأمل .
- لم تجمع القصائد وتطبع لهدف لغوي بل كان من قبيل جمع الدواوين الشعرية الخاصة ، أو من قبيل جمع أجود الشعر الشعبي وإبراز مافيه من أحداث وملاحم وطرف.
- يعد الرسم الإملائي معضلة كبيرة لابد أن تنال نصيبها من البحث والدراسة ؛ ليتفق الباحثون على طريقة بينة تقرب المسافة بين الشعبي والفصيح دون مساس بوزن القصيدة وبنائها ، ودون زيادة الفجوة بين الرسم الإملائي والشعر الشعبي.
- مع قلة الشعر الشعبي الموجود إلا أنه لم تنشأ دراسات لغوية عميقة حوله ، فالدارس والباحث يجد مشكلة في قلة الدراسات السابقة له ، ويجد مشكلة أخرى في أنه يتهم بالدعوة إلى العامية فيؤثر الكثير من الباحثين الابتعاد عن هذا الحقل الخصب.
- لم يجمع من الشعر الشعبي إلا أقله ، وعلينا أن نستدرك وندرك ما يمكن إدراكه.

المطلب الرابع : البرامج الإذاعية والتلفزيونية :

ومن الشعر الشعبي الموثق صوتيا : البرامج الإذاعية والتلفزيونية ، وهو فرصة سانحة للاستفادة منه في الأبحاث والدراسات اللغوية ؛ حيث كانت البرامج التي تهتم بالشعر الشعبي مكونًا أساسيًا من مكونات البرامج الثقافية ، وكان تمارس نشاطها بطرق مختلفة فتقوم باستضافة الشعراء ، أو قبول مشاركاتهم بالاستماع إليها وبثها عبر الإذاعة ، أو التنقل من بادية إلى أخرى للاستماع إليهم ، وإجراء المقابلات ، وحضور المساجلات الشعرية.

وبدأ النشاط الإذاعي في الخليج العربي منذ عام ١٩٦٨م، وذلك ببداية برنامج ركن البادية على إذاعة قطر، وقدمه الشاعر عبدالله الغالي المري؛ كما قدم برنامج صفحات من الماضي، وبرنامج شاعر ورربابة، ومن الشعراء الذين قدموا البرامج الإذاعية بإذاعة قطر: الشاعر حمد بن محسن النعيمي، وقدم برامج: فنون من البادية، وشاعرات من البادية، ومن عيون الشعر النبطي، ومساجلات من الشعر النبطي ، والبادية في رمضان، وقوافي وأنغام شعبية، والشاعر حمد بن فطيس المري على؛ حيث قدم برنامج أثير القصائد، وعلى إذاعة صوت الخليج قدم الشاعر عادل عبدالله برنامج فيض المشاعر، وعلى كثرة هذه البرامج إلا أنها لم تكن مستمرة بل كان يشوب مسيرتها التوقف والانقطاع أحيانا.[1]

وظهر أول برنامج إذاعي في دولة الكويت بتقديم الأديب سعود الجمران: في علم ١٣٧١هـ تحت عنوان: ركن البادية.

وفي عام ١٣٧٧هـ انطلق برنامج: من البادية من إذاعة الرياض في المملكة العربية السعودية؛ بتقديم الشاعر: مطلق مخلد الذيابي، ثم مع الشاعر: محمد بن شلاح المطيري، وكان البرنامج في بداياته لمدة عشر دقائق ثم تطور إلى أن أصبح لمدة ساعة كاملة .

وفي عام ١٣٨٤هـ، وعبر إذاعة الرياض بدأ برنامج: من البادية، يعده ويقدمه الشاعر منديل الفهيد واستمر إلى عام ١٣٩٤هـ، ثم قدم برنامج: من أشعار البادية، لمدة عامين.

---

(١) مجلة المأثورات الشعبية، وزارة الثقافة القطرية، الجهود السَّنِيَّة في الشعر النبطي القطري، بقلم نورة حمد، العدد٧٥، يوليو٢٠١١م، ص ٨٤

وأما البث التلفزيوني فقد بدأ من قطر -أيضا - حيث بدأ برنامج مجالس الشعراء، للشاعر ناصر بن مهدي الدوسري، منذ بداية التلفزيون القطري في عام ١٩٧٠م.

وقدم الشاعر عبدالله الغالي المري برنامج صفحات من الماضي ، ويشمل التراث الشعبي ومنه الشعر النبطي، وقدّم الشاعر حمد بن محسن النعيمي برامج عديدة؛ نذكر منها: ركن البادية، ومن الشعر النبطي، ومن شعراء الخليج، ومن الأدب والفن الشعبي، ومن التراث، الكاميرا كانت هناك ، وشعراء من أعماق الوطن، وجولة في أعماق الوطن، وقدّم الشاعر فالح العجلان الهاجري برنامج دوحة الشعر.

وفي المملكة العربية السعودية كانت البداية متأخرة قليلا ؛ لأن البث التلفزيوني لم يدخل إليها إلا في عام ١٣٨٥هـ، وظهر أول برنامج تلفزيوني بها في عام ١٣٨٨هـ، وهو برنامج: من مضارب البادية، قدمه الشاعر والمذيع محمد بن شلاح المطيري.[١]

وفي الآونة الأخيرة زاد عدد القنوات الفضائية الخاصة بالشعر الشعبي بلْهَ البرامج المخصصة له، وكانت أولاها قناة الواحة في عام ٢٠٠٤م[٢]، ولكن الأغلب من هذه القنوات لا يعرض من الشعر القديم إلا ماندر، ولن تكون بأهمية البرامج القديمة التي تحمل موروثًا لغويًا يمكن الاعتماد عليه.

---

(١) صحيفة الجزيرة، الشعر الشعبي ومراحل تطوره وانتشاره، هلال الثبيتي، الجمعة ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، العدد ١٣٤٠٦

(٢) صحيفة الجزيرة، الشعر الشعبي ومراحل تطوره وانتشاره، هلال الثبيتي، الثلاثاء ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، العدد ١٣٤١٧

وبالنظر إلى حجم الثروة الصوتية التي تزخر بها مكتبات الإذاعة والتلفزيون الخليجية فلا بد من حث الباحثين والدارسين على الإفادة منها في دراساتهم اللغوية.

المبحث الثالث

جمع الشعر الشعبي في عام ١٤٤٣هـ.

بعد أن وقفنا على أهمية الشعر الشعبي، ومكانته من الدرس اللغوي، وبعد أن استعرضنا أقدم المخطوط والمطبوع الذي وصلنا منه؛ فإنني أعرض التوصية الأهم التي أخرج بها من هذا البحث؛ ألا وهي الطريقة المثلى لجمع الشعر الشعبي والاستفادة منه.

بداية يجب أن نعلم أن الطريقة التي أقترحها الآن لابد أن تعالج الإشكالات التي اعتورت الطرق والمحاولات السالفة -من وجهة نظري – وإلا فستكون هدرا للوقت والجهد والمال، وإني لألتمس العذر للمحاولات السابقة لأن الوازع الذي انطلقت منه ليس لغويا بحتا؛ كما هو الحال في هذه الطريقة.

وعندما ربطت عنوان هذا المبحث بعام ١٤٤٢هـ؛ فإنني أُلمح إلى أن هذه الطريقة يجب أن تليق بما نحن عليه في هذا العصر من وعي ومتسع من الوقت والإمكانات، ومن تطور في التقانة والأدوات.

المطلب الأول: شرح الطريقة المقترحة.

بوضوح شديد فإن هذه الطريقة تقوم على فكرة الموسوعية والاستفادة من العمل الجماعي لبلوغ الهدف المرجو، فالموسوعية لأنها لن تتقيد بقبيلة أو مدينة أو إقليم معين، ولن تلتزم بموضوع معين من موضوعات الشعر، ولن تتوقف عند زمن معين إلا ماكان من الزمن الذي دخلت فيه اللغة البيضاء، ولكنها مع ذلك تضع

خطوطا عريضة تضمن صحة الشعر المجموع وسلامته، وأما العمل الجماعي فإن العمل سيكون بمشاركة فريق عمل كبير يعمل بشكل مؤسسي وفق خطة واضحة.

وتقوم الفكرة على عمل منصة حاسوبية لجمع الشعر الشعبي صوتا؛ ثم يفرغ كتابة مع حفظ الأصل الصوتي، والتعامل معه على أنه أهم من المكتوب بل هو أصله ومنبعه، إذ إن الشعر العربي في أصله يقوم على المشافهة.

ويحدد فريق العمل ممن يجمع الشعر بمن يمتلك الحس الشعري والمعرفة اللغوية، فأما الحس الشعري فأعني به أن يكون شاعرا أو عارفا ومتذوقا له؛ ليفرق بين البيت الموزون والمكسور، ويهتم بالمعاني؛ ليعرف الصحيح من المنحول، وأما المعرفة اللغوية؛ فليعرف الهدف من العمل لأن من يعمل دون أن يحدد هدفه ويعمل لأجله فلن يصل إلى نتيجة، وهؤلاء الشعراء أو المهتمون بالشعر هم الذين سيقومون على تتبع القديم والحديث من الشعر، ومن خلفهم فريق عمل علمي يوجه بالاستماع أو القراءة أو قبول الرواية أو ردها، ويتكون فريق العمل من ثلاثة فئات:

الباحث: وهو شخص أكاديمي متخصص في اللغة العربية، ويعمل معه خمسة جامعين.

الجامع: وهو شخص مهتم بالشعر متذوق له يجمع من الرواة وعليه أن يزور خمسة رواة على الأقل.

الراوي: وهو الشخص الذي يحفظ النصوص التي تحقق شروط الجمع، ويرويها بصوته للجامع.

وبعد الجمع تراجع من قبل الباحث ثم ترفع على المنصة الرئيسة للمشروع؛ لتصل إلى المؤسسة القائمة على الجمع.

فيكون لدينا في كل منطقة نبدأ الجمع فيها عشرون فريق، قابل للزيادة أو النقص بحسب الحاجة.

وتكون الفترة المحددة للجمع قبل عام ١٤١٠هـ، وهذه الفترة هي الفيصل المنطقي بين اللغة البيضاء واللغة الأصيلة التي نستطيع نسبتها إلى قبيلة بعينها أو إلى منطقة محددة، وهي الفترة التي سبقت دخول أجهزة الجوال إلى الخليج، وسبقت انتشار التقنية إلى الحد الذي ذابت فيه الفروق البينة بين اللهجات.

ولنأخذ على ذلك مثالا مصغرا: فلقد عملت جامعا للشعر؛ كمهتم بالشعر ومتذوق له ومدرك لهدف الجمع؛ فالتقيت مع خمسة من رواة الشعر في منطقتنا، وممن له دراية ورواية بالشعر منهم، واستمعت من كل واحد منهم إلى عدد من القصائد الموثقة من حفظه وروايته فجمعت منهم: أكثر من مئتي بيت، ولم أكن لحوحا لنهل المزيد وإلا لتضاعفت الكمية، غير أني أردت أن أختبر الأمر، وأنظر في مدى إمكانيته فوجدته في المتناول القريب، والأشعار منتشرة موفورة في الناس الآن، ولكني أخشى أن نتأخر عنها فلا ندركها إلا أثرا بعد عين، فإن ملامح زوالها تظهر في الأفق حين تسمع الشعراء من الجنوب والشمال، ومن الشرق والغرب ينشدون أشعارهم بلسان واحد لا يكاد يختلف إلا يسيرا، في حين أن التفاهم كان يتعذر قبل فترة ليست بالبعيدة بين أهل الشمال والجنوب إلا مع شيء من التغيير في اللغة الدارجة أو مع الحديث بلغة قريبة من اللغة الفصحى.

وقد حللت ضيفا على مائدة الشعر والتراث عند أولئك الرواة الذين أعرض بياناتهم وملخصا لما أخذته عنهم فيما يلي:

م	الاسم	عدد الشعراء	عدد الأبيات
١	أ.فهد أحمد الطليسي	١٠	٦٥

٢	عبدالله سعيد زويد	٥	٦٨
٣	الذيب علي القمهدي	٤	٤٦
٤	سعيد بن أحمد الزبير	٣	٣٠
٥	د حسن الدوسي	١	٣٢

ثم أخذت تلك الأبيات، وفرغتها مكتوبة بالإملاء الصحيح الذي تسنده الرواية المسجلة، فاجتمع لدي كمٌّ من اللغة والمفردات يحتاج لاستعراضه واستعراض مافيه من فوائد لغوية لبحث آخر، وسيكون له مكانه ووقته بإذن الله...

وهذا الكمّ اللغوي الثمين ليس إلا خُمُس جهد فريق واحد؛ فما بالنا كيف سيكون كمّ المجموع من اللغة إذا بدأنا المشروع بعشرين فريقا مثلا وفي كل فريق باحث و خمسة جامعين ولكل جامع خمسة رواة!! فسيكون لدينا ١٠٠ ضعف لهذا العدد الذي جمعته أنا بجهدي المتواضع في أقل من أسبوع.

المطلب الثاني: الإيجابيات.

إن لهذه الطريقة في تدوين الشعر الشعبي إيجابيات متعددة، وقد تظهر لنا أمور إيجابية أكثر عند بدء العمل بالشكل المطلوب، وسأكتفي هنا بطرح الجوانب الإيجابية التي ظهرت لي في بدايات هذا المشروع، وأهمها ما يلي:

١ - تسجيل الصوت الحي للرواة يضمن دقة عالية في الخصائص اللغوية وسلامة النص المروي، خاصة إذا نظرنا إلى الإشكال القائم بين الرسم الإملائي للغة العربية الفصحى وبين الشعر الشعبي، وقد عرضنا لها سابقا [(١)]، وهذا الإشكال يمكن تجاوزه متى امتلك القارئ الحس الموسيقي الذي يمنعه من كسر البيت، ولكن أهمية

(١) ص ٣٩ -٤٠.

التسجيل الصوتي تتجاوز ذلك إلى الظواهر الصوتية التي ترافق التسجيل ولا يمكن للخط أن ينقلها مهما حرصنا، فحين نستمع إلى القصيدة الشعبية بلسان الراوي المتقن للغة الدارجة التي قيلت بها فإننا نقف على ألوان من الروم والإشمام، وإلى أحرف أميلت وأخرى سهلت، وثالثة فخمت ورابعة رققت، ونستمع إلى مدود على غير ما تعلمنا ودرسنا، وهذا كله يؤكد تمسكنا بالتسجيل الصوتي والتعامل معه على أنه ثروة علمية ثمينة.

٢ - ضمان سعة الرقعة الجغرافية التي سيشملها المشروع؛ لأن الفكرة مبنية على التوسع والانتشار؛ فأينما دعت الحاجة لجمع الشعر الشعبي فيمكن تكوين الفرق اللازمة وبدء العمل، فلن نعدم في أي مدينة أو بادية أو حتى قرية أن نجد متخصصا في اللغة العربية ومتذوقا للشعر الشعبي، فحيث وجد الشاعر وجد المتذوق والراوي، ومع وسائل التواصل ووجود منصة لرفع الأعمال ومراجعتها وتصنيفها مباشرة فسيكون انتشار الموضوع ميسرًا بإذن الله.

٣ - امتداد الوقت إذ إن الموضوع غير محدود بوقت معين بل يمكن إصدار طبعة متجددة بشكل سنوي؛ لأن فكرة المشروع تقوم على الموسوعية ولا يمكن أن نحدها بوقت، ولكنها بالتأكيد ستكون أكثر ثراء وفاعلية في بدايتها، ثم ستكون الجهود التالية لإكمال ما سبق، واستدراك مافات على الجامعين الأوائل، ولنا في جهود السابقين مثل وقدوة: فهذا الكسائي يلتقي بالخليل في البصرة فيبهر بما وجده عنده من علم ومعرفة حتى إنه سأله بشكل مباشر: "من أين أخذت علمك هذا؟" ليخبره الخليل أنه من بوادى الحجاز ونجد وتهامة؛ فتحركه تلك الإجابة وتدفع به للخروج إلى البوادي يجمع اللغة فلم يرجع إلا وقد أنفد خمس عشرة قنّينة من الحبر فى كتابة ما

استفاده وما جمعه من اللغة، وذلك عدا ما حفظه ولم يكتبه [١]، و ذاك أبو عمرو الشيباني الذي يصف ابنه عمرو ماعمله بشيء من الإعجاز؛ حيث ذكر أنه جمع أشعار العرب من نيف وثمانين قبيلة، وكان يكتب شعر كل قبيلة في كتاب مستقل ويخرجه للناس ويضعه في مسجد الكوفة؛ فوضع هنالك نيّفا وثمانين كتابا بخط يده [٢]، والأمثلة والنماذج على ذلك كثيرة رغم شظف العيش وقلة المؤونة وضعف الحيلة ولكنهم قاموا بكل ذلك؛ ليحفظوا هذه اللغة العظيمة ويخلدوا لنا هذه الأمجاد التليدة.

٤ – قلة التكلفة؛ لاسيما إذا قورنت بحجم الفائدة التي سيحققها هذا المشروع، فالتكلفة تنحصر فيما يلي:

تكلفة المنصة والسيفرات والموقع الشبكي، ومن يشرف عليها.

مستحقات فريق العمل الذي يتكون من: الباحثين، والجامعين، والرواة.

كما أنه لابد أن نعلم أن التكلفة ستكون متناقصة لا متزايدة؛ بمعنى أن تجهيز المنصة وما يتبعها سيكون في بداية المشروع فقط، ولن يدفع بعد ذلك إلا أجور رمزية هي تكلفة الصيانة والتحديثات والفنيين، كما أن الجمع في بدايته سيتم عبر فرق متعددة ولكننا بعد سبر المنطقة المرادة سيقلص عدد الفرق بشكل كبير؛ ولن يكون إلا في وقت الضرورة.

٥ – وضوح الهدف لفريق العمل بفئاتهم المختلفة؛ مما يضمن جودة العمل وتحقيق النتيجة المثمرة بإذن الله، وهذا الوضوح منبثق من بساطة الفكرة ووضوحها من جهة، ومن رغبة الفريق وحبهم للعمل الذي يؤدونه من جهة أخرى؛ إذ إن الاختيار لن يقع عليهم بمحض الصدفة، وإنما هو لأنهم عرفوا الشعر الشعبي ورغبوا في تقديم

---

(١) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٢٥٨.

(٢) السابق ١/ ٢٥٦.

شيء له قبل أن يسمعوا بفكرة هذا المشروع، ولا شك في أن من يعمل بوعي وبرغبة سيكون إنتاجه متميزا، وجمع الشعر الشعبي لا بد أن يوجه لخدمة اللغة العربية والمعجم العربي بمستوياته المختلفة.

٦ - منح قيمة مستحقة للشعر الشعبي والمهتمين به: فهذا الشعر أخذ مكانة كبيرة على مستوى الانتشار والتداول مع وجود المنصات الإلكترونية والتواصل اللا محدود بين الناس، ولكن الشعر الذي يحمل القيمة اللغوية والبصمة التراثية والحضارية لا نجده في تلك المنصات، وهذا أمر غير مستغرب؛ لأن الشاعر الذي يريد أن يحقق الانتشار لن يكتب إلا بلغة بيضاء تسهل انتشار قصيدته ووصولها إلى أكبر شريحة ممكنة، بيد أن الشعر الذي سيركز عليه هذا المشروع هو الشعر الذي سبق هذا الانفتاح وهذا التواصل فاحتفظ بمقوماته اللغوية والتراثية، وهو إلى ذلك لم ينل حظه من الجمع والتصنيف، ولم يكتب له من الانتشار ما كتب لغيره من الأشعار الحديثة.

٧ - تقديم خدمة جليلة للمعجم العربي القديم والحديث؛ بتوفير نصوص أصيلة من الجزيرة العربية التي هي منبع اللغة العربية، ويمكن لجامعي اللغة والمعجميين، ومن يبحثون عن ألفاظ القبائل وربطها بالألفاظ المعجمية كما هو في عشرات الدراسات السابقة اللجوء لهذا المشروع ليجدوا المصدر الثري.

٨ - توفير مصادر موثوقة للباحثين في مجال اللغة العربية، وفي غيرها من المجالات العلمية الإنسانية؛ حيث ستمثل مصدرا ثابتا للأبحاث اللغوية والدراسات الأدبية، وجميع الدراسات الإنسانية الأخرى.

٩ - كون هذا العمل عملا مؤسسيا يضمن له الاستمرار بإذن الله؛ فلا يرتبط بالأشخاص ولا بظروفهم المتغيرة، وأقصد بالمؤسسي جانبين رئيسين: الأول أن تتم هيكلته بشكل واضح، وأن تقر له اللوائح المنظمة لعمله من الناحية الإدارية والمالية

بشكل مفصل ودقيق، والجانب الثاني أن يكون تابعا لجهة مشرفة داعمة تضمن البقاء بإذن الله رغم تغير الأشخاص وتبدل الأسماء.

١٠ - رأب الصدع وردم الهوة بين الباحثين اللغويين وبين عامة الناس، حيث تولد انفصام غير مبرر بين المثقفين وعلماء اللغة، وبين اللغة الدارجة وبين ما يمسها من قريب أو بعيد كالشعر الشعبي والأمثال الشعبية...إلخ، وإن كتب لهذا المشروع النجاح، وقامت عليه الدراسات العلمية الرصينة والمؤصلة فسنجد مع الوقت أبياتا من الشعر الشعبي في متون الدراسات العلمية لأولئك المثقفين ومن نهج نهجهم.

المطلب الثالث: المعوقات.

ولكل مشروع إيجابياته وسلبياته، ولا شك أن هناك نقاطا عدة ستشكل مداخل ومعوقات لهذا المشروع، وأبرزها:

١ - جنوح كثير من المثقفين عن الشعر الشعبي، وعدم اقتناعهم بأهميته؛ مما سيؤثر سلبا على تفاعل الناس مع المشروع.

٢ - إمكانية العبث بمصداقية الجمع في حال تعامل بعض الباحثين أو الجامعين مع المشروع بعدم جدية، ولم يتحر عمن يجمع منهم.

٣ - ضرورة وجود ممول للمشروع، ولو تعذر ذلك فسيشكل عقبة كؤودا.

٤ - ضعف انتشار ثقافة الكتاب الإلكتروني بعد؛ مما سيؤثر سلبا على انتشار المادة الصوتية التي سيتشكل منها الجزء الأهم من نتاج المشروع.

الخاتمة:

الحمد لله فقد تم هذا البحث وقد تناولت مباحثه كما أسلفت في مقدمته؛ حيث تكون من ثلاثة فصول وتسعة مباحث، وقد ناقشت ماوقفت عليه وفق المنهج الذي حددته في المقدمة، وانتهيت إلى عدد من النتائج ؛ أهمها:

- إن جمع الشعر الشعبي في مراحله السابقة لا يمثل إلا جزءا ضئيلا من النتاج الشعري الغزير، والمعبر عن حياة الناس بما فيها من تحالفات وحروب وفقر وغنى ونمو ونهضة وازدهار...إلخ .
- الشعر الشعبي الذي يمثل ثروة لغوية هو في الغالب الذي قيل قبل عام ١٤١٠هـ، قبل أن تستعمر وسائل التواصل ومنصاته ألسنة الشعراء لينتقلوا شيئا فشيئا إلى اللغة البيضاء التي تخاطب شريحة واسعة من الناس.
- تدوين الشعر الشعبي وتدوينه يخدم القرآن الكريم والدين الإسلامي وليس العكس، ويصدِّقُ ذلك كثرة المعاجم اللغوية (اللهجية) المعاصرة التي تعيد كثيرا من كلمات الناس في لغاتهم الدارجة إلى العربية السليمة الفصيحة أو الفصحى.
- من ناحية الأهمية والفائدة اللغوية والمعجمية فإن تدوين الشعر الشعبي أهم من تدوين الشعر الفصيح الحديث؛ ومرد ذلك إلى أن الشعر الفصيح المعاصر؛ أو بعد عصور الاحتجاج ليس إلا تكرارا لما سبق ولن نجد فيه جديدا حيال القواعد اللغوية أو المفردات المعجمية؛ بينما نجد الشعر الشعبي يحمل لنا ظواهر لغوية مختلفة، تناسب أن تكون محلا للدراسة والبحث بغض النظر عن قربها أو بعدها عما في كتب النحو والدراسات القديمة، وتحمل مفردات لغوية لا نجدها في المعاجم القديمة.

- إذا لم يكن لدينا اهتمام بشعرنا الشعبي فلن يستطيع غيرنا تمثيل دورنا في ذلك ؛ فإن وجدنا فضل اهتمام من المستشرقين فلن يستطيعوا أن يقدموا ما يقدمه أحفاد أولئك الشعراء الذين ورثوا عنهم اللسان والتراث الشعبي بتفاصيله الدقيقة.
- التسجيل الصوتي للشعر الشعبي أهم من كتابته ؛ لما يحمله من بيان لخصائصه اللغوية والصوتية.
- فكرة الجمع الصوتي للشعر الشعبي عبر عمل موسوعي هي الحل الوحيد لإدراك هذه الثروة اللغوية وحمايتها من الضياع، وسيقدم هذا العمل – بإذن الله – طوق النجاة للأجيال القادمة.
- كما انتهى البحث إلى عدد من التوصيات ؛ أبرزها :
- مراجعة تسميات الشعر الشعبي المختلفة ؛ فهي مازالت بحاجة إلى كثير من البحث والدراسة.
- ضرورة العمل الجاد على جمع المتوافر من الجهود السابقة بشكل صوتي ابتغاء لطريقة الأداء التي نطق بها وما تحمله من جوانب لغوية، واحترازا من التوهم ومن ضياع النطق الصحيح.
- ضرورة الإفادة من الشعر الشعبي الموثق عبر البرامج الإذاعية والتلفزيونية.
- العمل على جمع المخطوطات السابقة وتحقيقها، والحرص على تسجيلها صوتيا من قبل مختصين في الشعر الشعبي يتقنون طريقة الأداء الصحيحة ويفرقون بين البيت السليم وغيره.

- استثمار وجود الشعراء المطبوعين والرواة المتقنين للحصول على مالديهم من ثروة لغوية شعرية، والحصول منهم على قراءة صحيحة للقصائد الشعبية المخطوطة والمطبوعة..
- ضرورة العمل على مشروع مؤسسي موسوعي لجمع الشعر الشعبي صوتيا.

وختاما فقد قدمت في هذا البحث خلاصة ما استطعته حيال أثر التوثيق الصوتي للشعر الشعبي في الدرس اللهجي، الذي أراه صاحب حق على الجميع، وأرجو أن أوفق لتطبيق فكرة هذا المشروع في جمع الشعر الشعبي ليكون شاهدا على تمسكنا بتراثنا وتقديرنا له بما يحمله من سمات وظواهر لغوية، ومن مفردات وثروات معجمية.

قائمة المصادر والمراجع

[١] الحصري (علي)، ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح، تحقيق محمد المرزوقي والحبلاني ابن الحاج يحي، الشركة التونسية للتوزيع، ط ٢، تونس، ديسمبر ١٩٧٤.

[٢] أبو ديب (كمال)، في البنية الايقاعيّة للشعر العربيّ نحو بديل جذريّ لعروض الخليل ومقدّمة في علم الإيقاع المقارن، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ديسمبر ١٩٨١.

[٣] صالح (أحمد)، الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، مصر، ١٩٩٧م.

[٤] خميس (عبدالله)، الأدب الشعبي، مطابع الفرزدق، ط٢، الرياض، ١٤٠٢هـ.

[٥] كمال (محمد)، الأزهار النادية من أشعار البادية، مكتبة المعارف، ط٧، الطائف، ١٣٩١م.

[٦] القفطي (جمال الدين)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العنصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ.

[٧] شواخ (إسحاق)، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي، جامعة القديس يوسف، رسالة دكتوراة، بيروت، ١٤٠١هـ.

[٨] المقريزي (أحمد)، البيان والإعراب، مطبعة المعارف، ط١، مصر، ١٩١٦م.

[٩] الزبيدي (محمد)، تاج العروس، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ.

[١٠] ابن خلدون (عبدالرحمن)، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ.

[١١] الصغاني (الحسن)، التكملة والذيل والصلة، مطبعة دار الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٧٩م.

[١٢] الأزهري (محمد)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

[١٣] سلامة (طه)، الحياة الأدبية في جزيرة العرب، مكتب النشر العربي، ط١، دمشق، ١٩٢٥هـ.

[١٤] ابن جني (عثمان)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، مصر، ١٩٩٠م.

[١٥] الحموي (محمد)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

[١٦] الحاتم (عبدالله)، خيار ما يلتقط من شعر النَّبَط، ذات السلاسل، ط٣، الكويت، ١٩٨١م.

[١٧] الحلبي (السمين)، الدر المصون، دارالقلم، ط١، دمشق، ٢٠١١م.

[١٨] ابن عقيل (محمد)، ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، دار العلوم، ط١، الرياض، ١٤٠٢هـ.

[١٩] الفرج (خالد)، ديوان النَّبَط: مجموعة من الشعر العامي في نجد، مطبعة الترقي، ط١، دمشق، ١٩٥٢م.

[٢٠] المصطاوي (عبدالرحمن)، ديوان امرئ القيس، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٤٢٥ه.

[٢١] طه (محمد)، ديوان جرير، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٤٠٦هـ

[٢٢] أبو صالح (عبدالقدوس)، ديوان ذي الرمة، مؤسسة الإيمان الأولى، ط١، بيروت، ١٤٠٢ه.

[٢٣] الصويان (سعد)، الشعر النَبَطِيّ، دار الساقي، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

[٢٤] الكمالي (شفيق)، الشعر عند البدو، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٦٤م.

[٢٥] الدينوري (محمد)، الشعر والشعراء، دار الحديث، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

[٢٦] بليهد (محمد)، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ط٢، ١٩٧٢م.

[٢٧] العسكري (أبوهلال)، الصناعتين، دار الحلبي، ط١، ١٩٥٢م.

[٢٨] سلّام (محمد)، طبقات فحول الشعراء، دارالمدني، جدة، ١٩٨٠م.

[٢٩] الفراهيدي (الخليل)، العين، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م.

[٣٠] سيبويه (عمرو)، الكتاب، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة ١٩٨٨م.

[٣١] ابن منظور (محمد)، لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.

[٣٢] ابن سيدة (علي)، المحكم والمحيط، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ.

[٣٣] بن عباد (إسماعيل)، المحيط في اللغة، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ.

[٣٤] البكري (عبدالله)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

[٣٥] الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

[٣٦] أبو العزم (عبدالغني)، معجم الغني، موقع معاجم صخر، ٢٠١٣م.

[٣٧] الحمدان (محمد)، معجم المطبوع من دواوين الشعر العامي القديمة، الجريسي، ط١، الرياض، ٢٠٠٦م.

[٣٨] بن قدامة (محمد)، نقد الشعر، مطبعة الخانجي، ط٤، القاهرة، ٢٠١٥م.

[٣٩] الصحف والمواقع الشبكية:

[٤٠] السعيد (عبدالرحمن)، الاقتصادية، أجاد الصويان وتناقض ابن عقيل، الجمعة ٧ أكتوبر ٢٠١٦.

[٤١] الثبيتي (هلال)، الجزيرة، الشعر الشعبي ومراحل تطوره وانتشاره، الجمعة ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، العدد ١٣٤٠٦

[٤٢] الرويس (قاسم)، الرياض، هل الكتابة تفسد الشعر، العدد ١٥٧٠٩، الثلاثاء ٢٨ يونيو ٢٠١١م.

[٤٣] المسباح (صالح)، القبس، حول عبدالله الحاتم والروايات التاريخية، العدد ١٣٢٥٠، الاثنين ١٩ ابريل ٢٠١٠م

[٤٤] النهار الكويتية، العدد: ٢٢١١، الجمعة ١٨ يوليو ٢٠١٤م.

[٤٥] موسوعة الكويت: شخصية رقم: ١٨١٢ https://٢u.pw/VhU٩j

The Importance of Audio Documentation in Preserving Vernacular Language: Folk Poetry as a Model

Dr. Mansour Saeed Ahmed Abu ras
Associate Professor of Linguistics/The department of Arabic language/ Faculty of Arts and Humanities/ Albaha University.

Abstract:

This research relies on studying the importance of oral audio documentation To show its development at its various levels: phonetic, morphological, grammatical and semantic, and from the vernacular language, folk poetry is specific. It rises from a linguistic perspective under the title: The Importance of Audio Documentation in Preserving Vernacular Language: Folk Poetry as a Model. It deals with previous efforts to collect folk poetry with their related commentaries. It also tries to find an innovative way by which we can keep what has remained of folk poetry that was given almost no interest, studies or research as it is not uttered in Standard Arabic and is not appropriate for Standard Arabic spelling and, moreover, for reasons that were mistakenly thought to be religious. The study reached a number of results most important among which are :Collecting folk poetry serves The Holy Qur'an and Islam and not the other way around. An audio recording of folk poetry is more important than its writing as it clarifies its linguistic and phonological features .Folk poetry, which represents a linguistic heritage, is that which was mentioned before the year ١٤١٠ AH. From a linguistic and lexicographical perspective, collecting folk poetry is more important than collecting modern eloquent poetry .Collecting folk poetry in its previous stages represents only a small segment of folk poetry production. If we do not give interest to our folk poetry, no one else can do that role. The idea of an audio collection of folk poetry through an encyclopedic work is the only way to realize this linguistic legacy. Finally, the research comes to an end with a number of recommendations most notable of which are: Working on collecting and verifying previous manuscripts. It is highly necessary to work strenuously on collecting what is available as a result of previous efforts in a phonetic form that shows its correct pronunciation . It is very necessary to work on an encyclopedic institutional project to collect folk poetry orally. Reviewing folk poetry nomenclature as it still needs much further research and study Making good use of published poets and accurate narrators to get their linguistic poetic productions .

Key words: Audio Documentation – linguistic dictionaries – Popular language – Nabati poetry – antholog